# الاستدلال المنطقى للتاريخ عند ميكافيلي ولوتفاك
# المنهج الإستراتيجى بين إستقراء الواقع واستنباط النتائج

د. أحمد عـزب*

**مقدمة:**

من الثابت أنه عقب دراسة عالمة الأنثروبولوجيا الأمريكية العميقة مارجريت ميد للمجتمع الياباني في رسالتها للدكتوراه، وكانت قبل الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩/١٩٤٥م، والمنشورة تحت عنوان (زهرة الأقحوان). استنتجت أن هذا المجتمع عنيد وصعب المراس، لدرجة تجعله يرفض الاستسلام بفعل ثقافة البوشيدو؛ (الإقبال على الموت طائعين من أجل المحافظة على الشرف الياباني) وأوصت : بأنه على من يروم استسلام هذا المجتمع، عليه استعمال سلاح خارق فائق التدمير؛ ومعلوم أن اليابان لم تعلن استسلامها إلا بعد قصفها بالقنبلة الذرية الثانية؛ وليست الأولى، فإلى هذا الحد تمت الاستفادة من تحليل تاريخ المجتمع الياباني وفهم بنيته الثقافية، ومن ثم ندرك الآن كيف استفاد الغرب الاستعماري من التباينات الثقافية لمكونات المجتمعات المختلفة، ومنها المجتمعات العربية بالطبع، وخلق صراع الهويات؟ ولذلك ذاعت مقولة تشرشل[*] (١٨٧٤-١٩٦٥م) التي يقول فيها "مَنْ يرغب في استبيان ما يُضمره المستقبل، فلا مندوحة له من أن ينظر إلى الماضي (التاريخ) البعيد" [١].

وثمة ملاحظة جديرة بالاعتبار وهي الارتباط والتلازم الوطيد بين دراسة الأطروحات الإستراتيجية وفهمها وبين الرصيد والمنهجية العلمية، فإذا أخذنا الحقبة المعاصرة، ونقبنا في الإنتاج العلمي لأحد جهابذة الإستراتيجية في الوقت الحاضر وهو الكسندر دوغين (الكساندر دوجان) مستشار الأمن القومي الروسي[**]، فسيتضح أن مشروعه الإستراتيجي (الجيوبولوتيكي/ الجيوسياسي) تحديدًا يربط بين ثالوث (التاريخ، المنطق العلمي، وقواعد الإستراتيجية)، ويبرز أصول وأُسس (مقولات) هذا المشروع، ولاسيما في كتابيه : تطور الأسس الفكرية للعلوم، وفلسفة السياسة[٢]. ومن ثم نتفهم مقولة نابليون الكاشفة (١٧٦٩ – ١٨٢١م) "يجب أن تكون كل حرب منهجية"[٣].

• أستاذ المنطق وفلسفة العلوم المساعد، كلية الآداب ، جامعة حلوان.
E-mail: dr.ahmedazab.ph@gmail.com

ومن نافلة القول أن الصراع لهو بحق محور الارتكاز في تاريخ بني البشر طرًا، وثمة تلازم وثيق لا تخطئه العين ألبتة يربط بين صعود الحضارات وانهيارها، وبين خطط وتكتيكات (فنون) إدارة الصراع والتحكم فيها – ومقاربته بالتحكم في مياة الأنهار المندفعة الجريان بقوة هائلة كما يقرر ميكافيلي (مكيافيلي)[٤] – وإمكانية حسمها من خلال إستراتيجيات وآليات ناجعة، جُلها مرتهن بعدة شروط من أهمها : عبقرية ابتكار الحلول بوصفها معطيات وإضافات فارقة في الميزان الإستراتيجي، ويحدث ذلك فقط بعد فهمنا الدقيق للواقع وتشابكاته ومن ثم فك شفرة غموضه وتعقيداته وحلها؛ وكذا التسلح بالإرادة الواعية، على أمل الوصول في نهاية المطاف إلى تملك القدرة (القوة) الشاملة وأدواتها، ومعلوم تمامًا أن الحرب هي ذروة أي صراع وصدام؛ ولذلك يُقال عنها : "الحرب هي قمة الدراما الإنسانية" فمن خلالها نلحظ كافة أشكال وصنوف السلوك البشري وتناقضاته، فالتاريخ هو ذلك السِفر الجامع لكل صور هذه الدراما البعيدة منها والقريبة وأشكالها.

وربما كانت هذه المحاولة المبذولة لإلقاء الضوء قدر المستطاع على منطقة غير مطروقة كثيرًا – في حدود ما قرأت بخصوص البيئة الفكرية العربية تحديدًا–، وهي علاقة الأطروحة الإستراتيجية وعلومها بالفلسفة، فلم يُعهد إمتداد أيدي الباحثين إليها بالدراسة إلا بالنذر اليسير، ومن الثابت أن هناك بدهية في المدرسة الفكرية الغربية تقرر : أن التفكير (التنظير) والفعل (التطبيق والممارسة) الإستراتيجيين؛ يرتبطان في جوانب عدة بعقلانية وشمولية الفلسفة ومن ضمنها الاستدلال المنطقي[٥]، وهناك من يرى أنها تقع في صلب أبحاث فلسفة العلوم[٦]، وتصل هذه المدرسة إلى قناعة مفادها : ثمة علاقة وطيدة وعميقة بين المنهج (المنطق) الاستراتيجي، وبين الفلسفة بوصفها أداة للفهم الموسوعي لامتلاكها النظرة المعمقة القادرة على الربط بين الأحداث عبر منهج منظم ودقيق؛ ليس فيه أدنى انفعال ولا شبهة مبالغة، ولذلك فيمكن القول بالمقاربة بل المطابقة بين كل من المنهج العلمي المنطقي وروافده، وبين الإستراتيجية وعلومها، بوصفهما لون فكري منضبط ومنظم تمامًا، وكذا على اعتبار أنهما نبعا من معين واحد، هو المنبع العقلي الاستدلالي في التفكير، "فالعلم لابد له من المزج بين المنهج التجريبي الاختباري، والمنهج الاستدلالي العقلي، وبدون الاستدلال المنطقي فلن يكون هناك علم من الأساس"[٧]

ولقد لاحظ الفيلسوف أرنست كاسيرر (١٨٧٤ – ١٩٤٥م) جانبًا مهمًا لدى ميكافيلي، وهو الجانب الإستراتيجي، وهذا الافتراض من جانب كاسيرر يُعد جديدًا وفريدًا في بابه فيقول: "اكتشف ميكافيلي نوعًا جديدًا من (البحث) الإستراتيجي الذي يعتمد على الأسلحة النفسية؛ بدلاً من اعتماده على الأسلحة المادية، ولم يتحدث أي مفكر آخر قبله عن هذا الجانب، وهذا (المفكر)

الإستراتيجي مركب من عنصرين إنه من خلق عقلية منطقية صافية متزنة(*)، ومن ابتكار (عبقرية) رجل يستطيع الاعتماد على كل من تجربته الشخصية الخصبة في مسائل الدولة، ومعرفته العميقة بالطبيعة البشرية"(٨).

وها هو ميد إيرل – المنظر الإستراتيجي الأمريكي (١٨٢٦-١٩٠٤م)، صاحب القدح المُعَلَّى في هذا الجانب يقول : "لقد جعل ميكافيلي دراسة الحرب علمًا اجتماعيًا، وربطها ربطًا وثيقًا بالنظريات ووجهات النظر الاقتصادية والقانونية والسياسية، وجاهد في هذه المسائل العسكرية والإستراتيجية؛ ليزيد من ميدان التخطيط المنهجي البشري، ويقلل من عدد الاحتمالات"(٩)، ويتضح من وجهة النظر السابقة تماهي وتداخل التدقيق المنهجي للمعارف المتعددة ذات الصلة بعلم الخطط الإستراتيجية وفنها(*). ولذلك يمكننا القول : إن وجهتي النظر الفلسفية (كاسيرر)، والاحترافية العسكرية (ميد إيرل)، قد التقتا حول تصنيف ميكافيلي ضمن منظري الفكر الإستراتيجي.

وكتاب فن الحرب (في الحرب) لميكافيلي – لا توجد له إشارة واحدة في الدراسات والأبحاث العربية – قد طُبع أكثر من سبع طبعات، وظل مرجعًا في الدبلوماسية والإستراتيجية يُشار إليه بالبنان "فهو الأستاذ الذي علم القادة فن القتال وأدهش أوروبا بأسرها"(١٠).

وبالنظر إلى سِفره الضخم المسمى المطارحات – لا توجد حوله أية أبحاث في المكتبة العربية على الرغم من أنه الكتاب الأهم لديه – فهو دائرة معارف في علوم التاريخ والسياسة والإستراتيجية، وربط هذه العلوم برباط منهجي مبتكر ورصين ودقيق في البحث، لدرجة جعلت بعض المتخصصين يقرر أن فرنسيس بيكون (١٥٦١ – ١٦٢٦م) قد استعار دعائم منهجه الاستقرائي من كتاب المطارحات تحديدًا (لاحظ أن بيكون سياسي إنجليزي عتيد، كان عضوًا بالبرلمان لأكثر من عقدين من الزمن، وله كتاب في التاريخ والسياسة(**) هو : تاريخ الملك جيمس الأول).

ثم يدور الزمان دورته ويحاول لوتفاك (لوتواك) في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الفائت، التعويل على الأدوات المنهجية (المنطق المعكوس / برهان الخُلف) بوصفه طرحًا إستراتيجيًا ثوريًا، ليطلق صيحة مدوية معلنًا أن الإستراتيجية والإبستمولوجيا وجهان لعملة واحدة، فالتنظير الإستراتيجي عنده يرتكز على المنهجية المنطقية، مثلما فعل الرائد ميكافيلي في السابق، وهذا ما جعلنا نشتم من أفكاره الروح الفلسفية.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المحاولة من خلال هذا البحث حلقة متممة ومكملة لطرح فكري آخر سبق وتم دراسته(١١)، والجهد الذي شكل الأساس وحجر الزاوية، فيه ارتكز على التعامل مع المنهج العلمي في جوهره ومقاربته – بالخطة الحربية تحديدًا –، المرسومة لتعقب أثر

المجهول ومحاولة اقتناصه وانتزاعه؛ لدرجة التعامل معه واستهدافه، وكأنه خصم مراوغ (عدو) يتمترس بحصن حصين، وعلى الباحث بذل أقصى الجهد، والاستماتة في اقتحام هذه القلعة، باختصار كيفية إحراز النصر، بالقدرة على اقتناص هذا المجهول(١٢).

وعلى هذا الأساس يمكن التأكيد على إمكانية النظر إلى التصميم على بلوغ الهدف من خلال المنهج العلمي ومقاربته بالصراع والمعركة الحربية، والنظر إلى الخطط والإستراتيجيات بمنظار التفكير العلمي الحاكم في التنظير العقلاني، باختصار فكما أنه يمكننا أن نستنبط حلول ناجعة للواقع والحاضر من خلال فهم الماضي واستيعابه، فكذلك يمكننا النظر إلى المستقبل على أنه غير منفصل ألبتة عن الماضي والحاضر، ولذلك تكون لدينا القدرة على الإستشراف المستقبلي والتنبؤ بمجريات الأحداث؛ فمن خلال هذا فقط نحتاط ولا تدهمنا التحولات المباغتة (الأحداث الفجائية)، فشتان بين من أتم الاستعداد، وبين من لم يستعد وتم مداهمته ومباغتته، فهكذا ستكون النظرة إلى التاريخ ووقائعه، فالسابق يؤدي إلى اللاحق وكلٌّ منهما يقود إلى المستقبل، شريطة حضور الفكر والإرادة، ومن ثم فإن النظرة البرجماتية ستقود إلى السؤال الذي يقول : كيف نستفيد من التاريخ؟ ولذلك فإن الاستدلال المنطقي يعتبر القاسم المشترك بين الخطوات المنهجية والرؤية الإستراتيجية الكلية.

ووفقًا لما سبق فإن الاستفادة بالتاريخ بوصفه مخزونًا وحصيلة معرفية، لضبط إيقاع خطواتنا الإستراتيجية، بهدف امتلاك الرؤية المعرفية لرسم خارطة الاحتمالات والاستعدادات للمستقبل المنظور، بل والبعيد، لنكون فاعلين؛ ولا نفقد السيطرة على مجريات الأحداث، ونتحول إلى مفعول به، وضرورة الوضع في الحسبان "أن علوم الإستراتيجية هي تقريبًا رياضيات العلوم الإنسانية؛ وذلك لاتصافها بالصرامة والدقة في الحسابات والتقديرات والتوقعات، فإذا كانت الموضوعية هي إشكالية العلوم الإنسانية، فإن الموضوعية تقريبًا هي ميزة العلوم الإستراتيجية"(١٣).

ومن ثم فإن الإستراتيجي العتيد يحاول جاهدًا فك شفرة الغموض وتحطيم أسواره لاقتناص أسراره وسبر أغواره. ولذلك فإن القول الذي يقرر أن هناك تماهيًا بين الفيلسوف والإستراتيجي (الإستراتيجي المتفلسف) قول صادق تمامًا.

وربما كانت هناك نتيجة استخلصناها فيما سبق، هي "أن قضية فهم العقل العربي للإستراتيجية وخباياها وتشابكاتها وتقاطعاتها المختلفة، لهي أحد أهم فرائضنا الغائبة. وإنني أرى أنها سلاحنا الأهم والأدق والفعَّال، الذي لابد من امتلاك ناصيته يومًا ما، ومن عجب أننا ما زلنا نبحث عنه – ولن نمل – وآمل أن لا يطول البحث"(١٤).

## أولاً :الإطار النظري وتحديد المفاهيم :

ترتكز الدراسات الإستراتيجية مثل غيرها من الأبحاث العلمية الرصينة، على مسلمات وفرضيات (بدهيات) محددة، أو (موجودة ضمنًا في ثنايا البحث) تتصل بطبيعة الرؤية الإستراتيجية ومفهومها لدى ميكافيلي ولوتفاك باستخدامهما للتقنيات المنطقية الاستدلالية (الاستقراء والاستنباط تحديداً) للمقاربة والمماثلة بين الماضي (التاريخ) والحاضر على اعتبار ثبات الطبيعة الإنسانية، ومن خلال الدراسة الفاحصة والناقدة لمنهجية كل منهما في ضوء الاتجاه الوضعي[١٥] الذي يستند إلى الوسائل والأساليب العلمية التجريبية (الاستقرائية) وصولاً إلى التعميم عبر تقنية الاستنباط[١٦]، وكذا الاستفادة ببرهان الخُلف عند لوتفاك، وتقنية القياس الشرطي، وخاصة القياس الشرطي الخاطئ، فكل هذه الأساليب (الأدوات المنهجية) مجتمعة تمثل خطوات منطقية منضبطة لاستنتاج الحقائق عبر آلية المنطق الهورستيكي بوصفه منهجية مبتكرة لاقتناص الحل (الهدف)، ومن ثم الظفر بالفهم الصحيح.

والأطروحات الإستراتيجية؛ تحتم ضرورة امتلاك الباحث لثقافة ومصادر فكرية وعقلية ليست بالقليلة ولا بالتقليدية حِيال موضوع البحث والدراسة، فالثقافة (الموسوعية) شرط وضرورة حتمية لا مفر منها؛ لممارسة التفكير الناقد الذي ينجلي في مناقشة الأصول والثوابت، والرؤى والأفكار للتأكد من جدواها، وكذا التعمق، أي محاولة الاهتداء لنقطة البدء. وبعد ذلك تتبع الدروب والمسالك، فعن طريق ذلك التفكير يمكننا تتبع الأسباب واقتفاء آثار العلل وربطها بالنتائج، من خلال التثبت من الوشائج والعلاقات بكل دقة وحيادية (موضوعية)، "فالإستراتيجية وعلومها والمنهج العلمي المنضبط هما صنوان ومتكافئان، بل مترادفان ومتطابقان، فهما أشبه بوجهي العملة الواحدة، فلا يوجد أدنى انفصام بين كلٍ منهما"[١٧]، فالبناء الإستراتيجي في أحد جوانبه يقوم على الاختيار بين البدائل المرتكزة على أساس المنفعة والفائدة؛ وذلك لإنجاز هدف محدد؛ أو مجموعة أهداف، وهذه البدائل ترتبط بنظرية حساب الاحتمالات الرياضية[*] ذات الأرومة المنطقية.

والمنهجية الإستراتيجية الموسومة بالعمق والشمولية، تستهدف الوصول إلى الأغوار السحيقة للعلل والأسباب الحقيقية للإشكاليات والمعضلات التي نروم حلها، من خلال مخطط متكامل، يتم تنفيذه على المدى القريب والبعيد؛ عبر مراحل متعاقبة بعضها في إثر بعض. (النسق والبناء الإستراتيجي)، وهذا التسلسل والتشابك يحتم علينا الانتقال من الأبسط إلى الأعقد؛ ثم الأكثر تعقيدًا، وهكذا دواليك، وصولاً إلى تنفيذ المخطط (الرؤية) برمته.

والرؤية الإستراتيجية تعطينا أفضلية الاستشراف (التنبؤ) وسبق الخصم والتقدم عليه في المعرفة (الفهم الإستباقي) المرتكز على التحليل الدقيق، تمهيدًا للانتقال إلى التطبيق الواقعي

للرؤية[١٨]. ومن ثم ننتهي إلى أن المنهج الإستراتيجي ينطلق من الواقع ورصده وتحليله بدقة (الاستقراء)، ثم ننتزع أحكامنا بواسطة العقل (الاستنباطي) والمقاربة والموازنة تلك، تعرف بالحساب الإستراتيجي بهدف امتلاك رؤية صحيحة إلى أقصى حد عن الواقع[١٩].

وللعبقرية موقعٌ مرموق في الإستراتيجية وعلومها، كالبصيرة[**] أو ما يُعرف بالحدس، واصطُلح على تسميته في علم المناهج بالاستدلال اللماح **Abductive**[٢٠]، والمقصود به حضور البديهة والصفاء الذهني، والقدرة على اتخاذ قرار سريع وصائب، وخاصة في أكثر الأوقات صعوبة، ومن المتفق عليه أن القرار الصحيح المتأخر أقل أهمية بكثير، وفي الأغلب الأعم يصبح بلا قيمة، فالاستدلال بالحاضر على المستقبل ليس رجمًا بالغيب؛ أو خبط عشواء، لكنه يرتكز على أُسس وضوابط معرفية ومنهجية، مع الوضع في الاعتبار ديناميكية هذا العلم؛ فلا يمكن له التحول إلى الثبات والسكون الاستاتيكي (التكلس)، وذلك لأن مياه (متغيرات) كثيرة تنساب دائمًا في النهر باستمرار[٢١]. ومن هنا يكون قول الداهية تشرشل بخصوص هذا الموضع كاشفًا؛ إذ يقرر "إن إمبراطوريات المستقبل هي إمبراطوريات العقل"[٢٢]، ورأيه عن توماس إدوارد (لورانس العرب)[٢٣] (١٨٨٨-١٩٣٥م) ذو دلالة إبستمولوجية عميقة، فيقول : "أخذ لورانس يضرب في الأرض، عله يعثر على قضية تلوح للجميع بأنها خاسرة، بينما كانت تبدو له رابحة"[٢٤].

## تحديد المفاهيم :

١- المنطق : والمقصود به بصفة عامة في هذه الدراسة قياس حالة (واقعة تاريخية) حاضرة (آنية / الآن) على حالات ماضية، شريطة توفر نفس الظروف والأسباب، وكذا الاستفادة بتقانات المنطق مثل القياس الشرطي بأنواعه.

٢- الاستقراء : الانطلاق من الواقع الحسي واستخدام أركان المنهج العلمي (الملاحظة – التجربة – الفرض)؛ وذلك لفحص ارتباط مجموعة من الحالات الجزئية بعلاقات متشابهة، ومن ثم إخضاعها لقواعد ومعايير واحدة، واستنباط واستنتاج قاعدة عامة.

فعلى مستوى العلم التجريبي فإن قولنا : إن الذهب، والحديد، والفضة، والنحاس، والزنك معادن تتمدد بالحرارة. يستوجب بالضرورة أن نقول بلغة الرياضيات والمنطق : كل المعادن تتمدد بالحرارة. وهذا يتطابق مع صنيع ميكافيلي إبّان قوله : الدولة (س) استعانت بالمرتزقة في حروبها، الدولة (ص) استعانت بالمرتزقة في حروبها، الإمارة (ل) استعانت بالمرتزقة في حروبها. وهكذا دواليك ومُنيت الدولة (س، وص، والإمارة ل) بالهزيمة، إذن : فكل الدول والإمارات التي تستعين بالمرتزقة في حروبها تكون أكثر عُرضة للهزيمة (تعميم الحكم)[٢٥].

٣- الإبستمولوجيا : وهي حاصل ومجمل العمليات المعرفية وأدواتها المنهجية، انطلاقًا من القاعدة الشهيرة، وهي : المعرفة (الإبستمولوجيا) الصحيحة تستلزم منهجية صحيحة.

٤- الحدس (الاستدلال اللماح/ الفراسة) : الإدراك المباشر والسريع (بنظرة خاطفة) للحقيقة؛ وذلك لأن العمليات الإدراكية والمعرفية، تتسلسل في الذهن بطريقة آلية سريعة، ويقال عنه : منطق العباقرة، فهو لوذعي يدرك الحقيقة بأقل لمحة (من ثقب إبرة).

٥- حساب الاحتمالات : في قضية معرفية لا نستطيع الجزم بنتيجتها، فإننا نستعيض بمجموعة من الاحتمالات (النتائج) المفترض حدوثها؛ شريطة تصنيف كل احتمال وترتيبه على حدة، حسب إمكانية حدوثه ورجحانه، فالأكثر أهمية، ثم الأهم، ثم الأقل أهمية. وهكذا دواليك.

٦- القياس الشرطي : وهو ارتباط حدوث النتيجة بشرط محدد، فثمة تلازم حتمي بين النتيجة وهذا الشرط المتقدم علي تلك النتيجة والمسبب لها.

٧- القياس الشرطي الخاطئ : وهو الربط بين شرط ما من الشروط والنتيجة، بدون وجود أية علاقة تدعو لذلك، وفي مجال الإستراتيجية فإننا نستعين بهذه التقنية كثيرًا لإيقاع الخصم في الخطأ، فعلى سبيل المثال يُفترض في نهار شهر الصيام (رمضان) أن يكون الإنسان أقرب للراحة بسبب عدم تناوله للطعام ولا حتى للمياه؛ إذن المناورات التي يقوم بها الجيش المصري هي عمل روتيني؛ وخاصة أنها أُجريت مرتين من قبل ولم تُفضي إلى شئ، إذن لا توجد نية للهجوم لدى الجيش المصري. وبالطبع كان استدلال شرطي خاطئ استنتجته قيادات الجيش الإسرائيلي.

٨- منطق الخُلف : يُقال عنه : استعمال الطريقة العكسية ونقيض البرهان المباشر، كقولنا: إذا أردت الانقضاض على الخصم، (فتظاهر) بالاسترخاء، فالرغبة في الانقضاض والقتال على المستوى العلمي (التنظيري) والعملي (التطبيقي الواقعي)، ضد الاسترخاء، ولكن هذا يعطيك أفضلية مباغتة الخصم ومفاجأته، فالخدعة التي هي أرومة النظريات القتالية وجوهرها تقوم على المباغتة، والمباغتة أساسها أن تهاجم خصمك وأنت في كامل الأُهْبَةِ والاستعداد وخصمك غير جاهز بالمرة، ولك أن تتخيل النتيجة، وخير مثال على ذلك استخدام الرياضي والمنطقي والفيلسوف الألماني لبينتز (١٦٤٧-١٧١٦م)، هذا التكتيك في محاولة إقناع لويس الرابع عشر (١٧١٠-١٧٧٤م) ملك فرنسا بعدم محاربة ألمانيا وغزوها، وصاغ مشروع غزو مصر واحتلالها في القرن السابع عشر بهدف قطع الطريق بين إنجلترا (عدو فرنسا اللدود) وبين الهند، وغلق الطريق البحري وشل حركة الأسطول الإنجليزي عبر دق أسفين له باحتلال مصر، وبذلك ستنشغل فرنسا بحرب إنجلترا بدلاً من حرب ألمانيا وغزوها، ويفترض لبينتز إمكانية تنفيذ ذلك بكل سهولة، بعد إقناع إنجلترا من خلال وسائل الدعاية الفرنسية،

بضرورة غزو إنجلترا، وبعد مباغتتها باحتلال مصر وغزوها[٢٦]، وذلك يطابق القاعدة الإستراتيجية بالمناورة في الغرب (غزو إنجلترا غير الحقيقي)، والهجوم في الشرق (الغزو الفعلي لمصر والسيطرة على موقعها الجيواستراتيجي الحاكم)؛ فحينما تريد أن تتجه شرقًا، يجب الإعلان عن الاستعدادات للاتجاه غربًا، وحينما تتعافى إنجلترا من هول الصدمة، تكون فرنسا قد أنجزت (المهمة المباشرة / الهدف الإستراتيجي) باحتلال مصر، ومن ثم تتعامل إنجلترا مع واقع معقد، لم تختره هي، بل فُرض عليها قهرًا، وإذا أردنا البحث عن قواسم مشتركة بين الرياضيات والمنطق الإستراتيجي – حازها لبينتز جميعًا بامتياز – فسنعثر على معيار البساطة بوصفه اختيار الحل الأيسر والأسهل لإنجاز الهدف، وهذا بالضبط جوهر التصور المنطقي الذي وظفته عبقرية ليبنتز أيما توظيف، ويُقال : إن لبينتز – استعان به أمير هانوفر في صياغة وفك الشفرة[٢٧]–، ذلك الرياضي العبقري الذي مهد وسبق نيوتن (١٦٤٢–١٧٢٧م) في اكتشاف حساب التفاضل والتكامل، ذلكم المبحث الذي غير وجه الرياضيات والفيزياء، كثيرًا ما كان يلجأ لاستخدام تقنية الخُلف وبرهانه في المنطق والرياضيات، وها هو يستخدمه في محاولة لحل مشكلة تهدد الوجود والدولة الألمانية وتضربها في الصميم[٢٨].

## المنهج المستخدم في الدراسة :

الاستفادة بتقنية المنطق الهورستيكي الذي يستند إلى دعائم منهج التحليل والتركيب، بمعنى تيسير المعقد، من خلال تقسيمه إلى عدة عناصر أولية بسيطة (التحليل)، ثم إعادة تجميعها على أساس اقتراح فرضية فكرية جديدة، وغالبًا ما يكون هذا الاقتراح عبقريًّا غير مسبوق، بهدف اكتشاف خصائص لم تكن معروفة (التركيب)، وهذه التقنية المنهجية المتفردة تُعرف بمنطق اكتشاف السبب (منطق الحل)، ويستخدم الأدوات المنطقية كالقياس سواء كان حسيًا تجريبيًا (الاستقراء)، أو عقليًا (الاستنباط)، وكذا القياس الشرطي الصحيح والخاطئ، بالإضافة إلى التقنية المهمة (قياس/منطق الخُلف). واستهدفت الدراسة تطبيق هذه التقنيات (الأدوات المنهجية)، على تصور ميكافيلي ولوتفاك للتاريخ، واتخاذ هذه التصورات تكأة لاستنباط القواعد الإستراتيجية.

التماهي بين التاريخ والإستراتيجية عند ميكافيلي[*] ولوتفاك[**] والفرق بينهما:

بالرغم من استخدام ميكافيلي ولوتفاك للتقنيات (التقانات) المنطقية، إلا أنه يوجد ثمة فوارق جوهرية بين فرسي الرهان، وهي :

أ– اعتماد ميكافيلي على الأدوات المنطقية البسيطة (القياس تحديدًا) وقياس حالة آنية حاضرة (حدث / واقعة تاريخية) على حالات (أحداث ووقائع سبق حدوثها في الماضي) للبحث

عن وجود علاقات وتماثل من عدمه؛ بين الماضي والحاضر.

ب- يُحسب لميكافيلي قدرته على استشراف المستقبل والتعويل على منهجية حساب الاحتمالات، وهو منهج إستراتيجي معاصر.

ج- اعتمد لوتفاك على برهان (منطق) الخُلف الذي يعطينا خيارات عديدة (بدائل إستراتيجية)، وبالطبع يتم اختيار البديل المناسب حسب الإمكانيات والظروف المحيطة بالحدث.

د- استخدام لوتفاك تقنية القياس الشرطي، وخاصة الخاطئ في الفهم والتحليل، وتأتي أهمية هذه التقنية في المساعدة على خداع الخصم في إجباره وإرغامه على الفهم والربط بين الأحداث بصورة مغلوطة؛ وهذا يؤدي به إلى الوقوع في الشرك والفخ.

وبالتالي فإن ميكافيلي استخدم الأدوات المنطقية البسيطة المعروفة في حينه مع إضافته لمنهجية غاية في الأهمية وهي : حساب الاحتمالات (البدائل والخيارات) بينما استخدام لوتفاك تقنيات أخرى، وخاصة برهان الخُلف الذي يتماهى مع جوهر الفكر الإستراتيجي بالإضافة إلى القياس الشرطي الخاطئ لخداع الخصم.

## أوجه الشبه والارتباط بين ميكافيلي ولوتفاك:

يُعد كتاب المطارحات العمل الأضخم لميكافيلي، بالإضافة إلى تدوينه لنظرياته في السياسية والدبلوماسية والتاريخ وكذا الإستراتيجية مدعومة بمنهج مبتكر، أرومته استنباط الأحكام والقواعد من خلال الوقائع التاريخية[٢٩] التي دونها تيتوس ليفي (٥٩ ق.م ١٧م)[*] في مؤلفه الشهير عن الإمبراطورية الرومانية، وبموجب هذا السِفر الضخم لميكافيلي، أُعتبر مؤسسًا لعلم السياسة؛ لأنه نص على ثلاث قواعد، هي :

أ- الفصل بين السياسة (ما هو كائن/ الواقعية)؛ وبين الأخلاق (ما ينبغي أن يكون/ المثالية)، فإذا كانت هذه القاعدة الشهيرة : "الغاية تبرر الوسيلة". منصوص عليها في كتاب الأمير؛ فإنه قد توسع في شرحها باستفاضة في كتاب المطارحات[٣٠].

ب- ابتكاره لمنهج تطبيقي؛ أسس عليه نظرته للاستدلال التاريخي والسياسي، وهو في جوهره عبارة عن استقراء للوقائع والأحداث لاستنتاج أحكام عامة، ويتضح جليًا فهمه واستيعابه لأحداث التاريخ قد تجسد بصورة إبستمولوجية، فالوقائع عبارة عن مخزون ورصيد معرفي متراكم، يحتاج إلى الأيدي الخبيرة والعين البصيرة، لاكتشاف التعميمات (دروس وعبر)، بواسطة إعمال المنهج العقلاني الاستدلالي (التمحيص) في هذا الرصيد، ومن ثم يمكننا القول باطمئنان : أن الوقائع الاستقرائية شكلت المقدمات المنطقية، والتعميمات والأحكام، شكلت نتائج هذا الاستدلال المستخلصة.

أما عن لوتفاك، فسيتضح ويالدهشة تأليفه لكتاب عن الإمبراطورية الرومانية في القرون الميلادية الثلاثة الأولى. وحدد دراسته بأنها في "الإستراتيجية العليا"، فإذا كان هذا الباحث الذي لا تخطئه عين في حقل الإستراتيجية والتلميذ النجيب لفكر ليدل هارت وفلسفته الإستراتيجية (١٨٩٥ – ١٩٧٠م)، يؤلف في ذلك التاريخ البعيد، ألا يجعلنا ذلك نعيد حساباتنا في فهم السياسة والإستراتيجية من خلال القدرة على استيعاب الأحداث التاريخية وسبر أغوارها؛ غير المنفصلة عن إطارها المجتمعي، إذن لقد التقى فرسا الرهان من خلال هذا البحث في الاهتمام بالتاريخ بصفة عامة والروماني(*).

ثانيًا : إذا كان ميكافيلي قد استحدث ما نستطيع أن نقول عنه المنهج السياسي والإستراتيجي ذا الأبعاد الاستدلالية، فإن لوتفاك؛ قد أسس منهجه الإستراتيجي بطريقة منطقية متفردة غير مسبوقة وهي المنطق المعكوس (برهان الخُلف/العكسي وهو البرهان غير المباشر وغير المستقيم)(**)، بطريقة منهجية غير معتادة.

ثالثًا : معروف أن الإستراتيجية هي علم وفن، وبما أنها فن فلابد لها من جانب تطبيقي، فالذي حدث هو أن ميكافيلي قد صاغ كتابًا في الإستراتيجية وفنون الدبلوماسية وهو كتاب (فن الحرب)(*).

وعلى هذا فمن خلال مقولة بسمارك (١٨١٥ – ١٨٩٨م) موحد ألمانيا – بروسيا في السابق – التي يجزم فيها بالقول "إن حوادث التاريخ المفهومة؛ هي النتائج المستنبطة من مقدمات الحديد والنار"(٣١)، ورغم ما يحمله الرأي السابق من أخطاء كارثية؛ إلا أننا نشتم فيه رائحة ميكافيلي المفكر الذي مجد القوة لدرجة التقديس، ويلاحظ أن هذا الكتاب يحسم وجهة النظر بأن هذا المفكر المنهجي، أخذ يحلل المعارك الحربية على طريقة الخبير بالإستراتيجية، وأدرجه مؤلفو كتاب : "رواد الإستراتيجية". ضمن الكبار منهم، وأفردوا له اثنتين وسبعين صفحة.

أما لوتفاك فقد جمع بين التنظير والتطبيق واستخدم أدوات منهجية توسع من دائرة خياراتنا، عن طريق تحليله للوقائع الحربية رابطًا بين الانتصارات ومجموعة من الأسباب العقلانية في الدرجة الأولى، وطبق ذلك على كتابه : الإستراتيجية العليا للدولة الرومانية وريثة الحضارة اليونانية(**). والخلاصة أن كلاً من فرسي الرهان قد جمعا بين التنظير والتطبيق، مع مراعاة اختلاف ظروف عصر كل منهما وطبيعته وإمكانياته، فإذا كان ميكافيلي يمثل مرحلة البواكير الأولى، فإن لوتفاك يمثل ذروة المنهجية الإستراتيجية وسنامها في القرن الفائت ومازال.

## الأدوات المنهجية عند ميكافيلي :

ثمة قاعدة منهجية لميكافيلي تعتبر أساس الرؤية السياسية لديه وترتكز على ثبات الطبيعة البشرية في كل العصور فيقول "يجب أن لا يقنط أي إنسان من القدرة على التأثير بما سبق لغيره أن أثروا به، فلقد ذكرت من قبل في المقدمة أن الناس يولدون ويعيشون ويموتون في نسق واحد لا يتبدل ولا يتغير"[٣٢] ويردف معرفًا القوة بقوله "اعتمد روملوس (مؤسس مدينة روما) على التعقل (التخطيط) والسلاح (وسائل القدرة) والقوة"[٣٣] وهما جناحا الإستراتيجية، وثمة ملاحظة تدل دلالة قاطعة على الموضوعية عنده فيشيد بالسلطان العثماني سليم الأول خصم أوروبا اللدود قائلاً "استطاع السلطان بايزيد سلطان الأتراك وهو رجل أحب السلام أكثر من الحرب، التنعم بثمار المشقات التي احتملها والده محمد الفاتح، ولو كان سليم الحاكم الحالي على أي حال كوالده، لا كجده لخربت الدولة"[٣٤].

وكثيرًا ما يبتدأ عباراته قائلاً "لنبدأ بالعقل والمنطق"[٣٥]، ويؤكد على استخدام الأدوات المنهجية بوضوح في مؤلفاته فيتحدث كثيرًا عن المعقولية المنطقية، فيذكر في مقولاته : "إذا كنا ننشد العقل والمنطق، فإن الحجج يمكن أن تقوم لتدعيم الحجة والاستدلال..."، ويحث القادة والأمراء بقوله المهم : "والأمير العاقل ينبغي أن يسير بمثل هذه الطريقة (المنهجية)، وأن لا يخلد إلى السكينة وقت السلم، بل يعمل بحيث يستطيع أن ينتفع بالوقت، فيجني في الحرب ثمار عمله وقت السلم"[٣٦].

وهناك استنتاجٌ يقرره (تعميم منطقي) في الفصل الرابع عشر؛ تحت عنوان : واجبات الأمير نحو الجندي المحارب. حيث يؤكد على أنه من المتعذر قبول فكرة أن رجلاً مسلحًا يخضع لرجل غير مسلح، أو أن أعزل يأمن الحياة بين قوم مسلحين حتى النخاع، لأن الأعزل يبقى خائفًا حذرًا، وكذلك فإن الأمير الجاهل بفنون الحرب لا يكون محترمًا من جنده ولا يأمن جانبهم، فلا يليق بأمير أن يتخلى عن فكرة الحرب لحظة، وعليه أن يحيط بعلم الحرب إحاطة تامة[٣٧].

وينبغي ممارسة الحرب والتدريب عليها في السلم، وذلك بطريقتين : هما العمل والدرس، وبخصوص الجانب العملي – التدريب والاستعداد، ويقال : إن العرق في التدريب يوفر الدم في المعركة – في الحرب، فهو إبقاء الجنود مسلحين مستعدين، وممارسة الصيد، ليعتاد البدن على المتاعب والمشاق وتحملها، وكذلك للوقوف على طبيعة الأراضي، وكيف يكون ارتفاع الجبال ومهابط الوديان، ومعرفة أنواع الأنهار والمستنقعات، وكيف يكون تأثيرها أثناء عملية العبور[*]، ولهذه المعرفة العملية فائدتان، هما :

أ- معرفة الجغرافية والأرض، فيعرف الدروب والمسالك وكيفية الانتقال.

ب- القياس التقريبي بين أرض الوطن والأرض خارج الوطن، فيعرف أين ومتى يبنى المعسكر؛ وكيف يحتل الأماكن التي تحتوي على المياه لتزويد الجيش بها[٣٨].

أما الجانب التثقيفي (الممارسة والتدريب) فيذكر ميكافيلي بأن على الأمير في وقت السلم التفكير في الحرب، وحينما يتواجد في وقت السِّلْم مع الجنود يسألهم، إذا كان العدو على هذا التل، وكنا نحن هنا بجنودنا، فأي من الفريقين يكون حصين المركز، وكيف يمكننا الاقتراب منه مع المحافظة على النظام بدون أي خلل، وإذا أردنا التقهقر فماذا ينبغي علينا فعله؟ وإذا تقهقر عدونا، فكيف نطارده بصورة صحيحة، بحيث لا نقع في فخ قد أعده لنا، فكان يستمع إلى آراء جنوده، ويبدي آراءه مشفوعة بالحجج، بحيث كانت حروبه، صورة طبق الأصل لما سبق واستعد له؛ لأنه قد درس احتمالات – الاحتمالات مبحث منطقي ورياضي في الأصل- كثيرة، ودرب الجيش عليها[٣٩]، "أما تدريب العقل فلا يكون إلا بدراسة تاريخ القادة العظام، والنظر في وصف الوقائع، والبحث عن أسباب النصر، وأسباب الخذلان، لاتباع الأولى واتقاء الثانية، فقد زعموا أن الإسكندر الأكبر (٣٥٦-٣٢٣ق.م) قلد (آخيل)[**]، وأن قيصر (٤٢ق.م – ١٤م) قلد الإسكندر الأكبر"[٤٠].

ويتحدث ميكافيلي عن الملاحظة، فيقول : "فقد لوحظ مرارًا وتكرارًا"[٤١] ويتحدث عن الاستنتاج فيقول "فكذا نصل إلى الاستنتاج القائل ..." [٤٢]، وكذلك يستخدم حساب الاحتمالات؛ والتعامل مع كل احتمال، وكل حالة فيقول "لا يمكن لأي جمهورية بلوغ الكمال؛ إلا إذا ضمنت بموجب قوانينها نصوصًا صالحة لكافة الاحتمالات، وضمنت لكل احتمال علاجًا شافيًا، وأقرت الطريقة (المنهجية) التي يجب اتباعها في استعماله"[٤٣].

## تطبيق منهجية الاستنباط على فهم الدين والفساد عند ميكافيلي :

### (أولاً) الدين :

ثمة رأي خاطئ قد شاع بخصوص ميكافيلي يفترض نظرته السلبية إلى الدين، ولكنه يقول بصريح العبارة "وهناك من هم جديرون بالزراية والسخرية وفي طليعتهم أولئك الذين يستأصلون الدين ... ويحاربون الفضيلة وأعني بهم الزنادقة"[٤٤].

أما عن الاستخدام الإيجابي أو السلبي للمعتقدات الدينية فثمة نص مهم يقول فيه : "فحيث يوجد الدين يصبح من السهل على الناس تعليم استخدام السلاح، أما حيث توجد الأسلحة ولا يكون ثمة وجود للدين يصبح من الصعب إدخاله ونشره"[٤٥] ويردف "لم يكن هناك في الحقيقة مشرع واحد جاء بقوانين غريبة إلى أي شعب من الشعوب لم يلجأ إلى القول بأن الله هو الذي أمر بهذا، إذ لو لم يلجأ إلى هذا السبيل لما قُبلت قوانينه، فكثير من الفوائد التي يشعر بها

الإنسان العاقل لا تكون واضحة جلية لكل عقل بحيث يتمكن من إقناع الآخرين بها، وهذا ما يدفع الحكماء تجنبًا للصعوبة اللجوء إلى ذريعة (شريعة) الله"(٤٦).

وباستخدام الملاحظة الحسية يقول "يلاحظ المرء في حصار مدينة فيبي كيف أن قادة الجيش استخدموا الدين لحمل جنودهم على مواصلة الهجوم ... فتم اقتحام المدينة بعد حصار عشر سنوات، وهكذا عمل الدين حينما أُحسن استخدامه في المساعدة على احتلال المدينة"(٤٧). وهذا يذكرنا باستخدام الولايات المتحدة الأمريكية الجهاد الديني في أفغانستان ١٩٧٩م لمقاومة الغزو الروسي (الجيوبولتيكا الدينية كما أسماها الكسندر دوغين)، فكان سببًا مباشرًا للاستنزاف والتي أفضت إلى الهزيمة السوفيتية(٤٨).

**(ثانياً) الفساد :**

ويقرر ميكافيلي أنه إذا وصلت درجة الفساد إلى جيلين أو ثلاثة – الجيل الواحد حوالي ٤٠ سنة–، فإن الفساد المتأصل في المملكة سينتشر إلى بقية الأعضاء، وبفساد الأعضاء أصبح من المحال إصلاح حالهم، ومن ثم يستنبط قاعدة مهمة من المسلمات ويقرر فيها أنه لا يمكن إعادة الاستقرار إلى الدولة التي يحكمها أحد الأمراء الفاسدين"(٤٩)، ويقول بعد استعراض كثير من الحالات الواقعية "عندما يكون الجوهر صالحًا لا تؤدي الفتن إلى أي ضرر، أما عندما يفسد الجوهر فإن التشريعات الصالحة لا تجدي، إلا إذا كانت من وضع إنسان في مركز قوي للغاية، يمكنه من فرض الطاعة إلى الوقت الذي يكون صلاح الجوهر قد تحقق"(٥٠).

تطبيق الاستقراء التاريخي عند ميكافيلي وانعكاسه على فرنسيس بيكون :

يعول ميكافيلي على الجمع بين الاستقراء والاستنباط فيقرر بخصوص من يريد إقامة تأسيس جمهورية في الوقت الحاضر، فإنه يجد من السهولة عليه إقامتها بين أهل البادية غير المثقفين، على أن يقيمها بين سكان المدن حيث بلغت المدن مرحلة الفساد، والأمر بالضبط مثل محاولة النحات إبداع تمثال جميل من الحجر الخام، على استخدام رخام سبق لنحات محدود القدرات استخدامه(٥١).

يقول الفيلسوف أرنست كاسيرر (١٨٧٤ – ١٩٤٥م) "كان ميكافيلي مولعًا للغاية بالتعميمات الجريئة، فقد انتزع على الفور من أمثلة قليلة العدد (الاستقراء) مأخوذة من التاريخ القديم أو الحديث؛ نتائج بعيدة المدى إلى أقصى حد، ويتحتم على الدوام مراعاة الطريقة الاستنباطية في التفكير والاستدلال إذا أردنا فهم نتائج ميكافيلي"(٥٢). ويردف بقوله : "تأليف كتاب من طراز كتاب الأمير، له نفس أهمية كتاب المطارحات، إذ إن تأليف هذا الكتاب في حاجة إلى قدرات عقلية متنوعة؛ كالقدرة على الاستنباط والتحليل المنطقي"(٥٣)، وكثيرًا ما ينوه هيوم (١٧١١–١٧٧٦م)

في كتابه : (المقالات) بميكافيلي؛ معجبًا به، وذلك لإتباعه الاستدلال التجريبي في دراسته السياسية، وأنه قد توصل إلى قاعدتين حدسيتين صحيحتين هما :

أ- ثمة ميول تتحول إلى قواعد سياسية ثابتة (مسلمات) لدى جميع المجتمعات.

ب- يمكننا الوصول إلى هذه القواعد بدراستنا لتاريخ الشعوب والأمم والجماعات.

ويحدد ميكافيلي المعرفة السياسية الصحيحة وينظر إليها في ضوء معقولية المنطق وعلاقاته، بوصفها معايير وقواعد، وكذا يُرسي أساس الممارسة السياسية على أساس استقراء وفهم الواقع؛ فهو إذن يجمع بين الاستدلال المنطقي والاستقراء المادي الحسي لفهم الوقائع وتحليلها[٥٤]، فيقول بول جانيه – أحد أكبر دارسي ميكافيلي في القرن الفائت – "إن سياسة ميكافيلي استدلالية تمامًا، وسياسة مونتسكيو (١٦٩١ – ١٧٥٥م) أقرب إلى العملية، وكلتاهما تستند إلى التاريخ"[٥٥].

وعلى هذا الأساس يقرر فرنسيس بيكون (١٥٦١ – ١٦٢٨م) "إننا مدينون بالكثير لميكافيلي؛ لأنه أنبأنا بما يفعل الناس، بدلاً من أن يُنبئنا بما ينبغي للناس أن يفعلوه. وبعبارة أخرى نستطيع القول: إن جانبًا من عمل ميكافيلي هو نوع من العمل الذي يقوم به العالم الطبيعي، إذ ينطلق من الملاحظة، وجمع الحقائق، باعتبار ذلك نقطة البداية في كل تفكير خاص بالموضوع"[٥٦].

وفي الفقرة (٩٧) في كتاب الأورجانون الجديد ثمة إشارة من بيكون إلى تيتوس ليفي تشي بالإعجاب والإطراء، ومعلوم أن ميكافيلي نقل عنه نقلاً مباشرًا[٥٧]، وفي الفقرة (١٢٧) يقرر بصريح العبارة بأن منهجه الجديد المقترح غير مقصور على العلوم الطبيعية فقط، ولكنه مرتبط بالعلوم الإنسانية وعلى رأسها علم السياسة والحكم، ويردف بأن المنهج العلمي يجب أن يعترف بخصوصية كل علم وتفرده، فلكل علم طبيعته الخاصة، ولذلك يجب أن يكون له منهجه المتوائم مع هذه الخصوصية شريطة انبثاق كل العلوم من الواقع ومشكلاته، مستهدفة تغييره إلى الأفضل من أجل صالح البشر ومنفعتهم[٥٨]. وفي نص مهم جدًّا يحدد فيه ميكافيلي إستراتيجيته المنهجية السابقة على بيكون بقوله : "إن في الإمكان حمل أفراد الشعب على أن يفتحوا عيونهم حالما توجد طريقة لحملهم على رؤية الخطأ الذي يرتكبونه في التعميم (المتسرع)، وعلى وجوب النزول إلى التفاصيل والجزئيات"[٥٩]، ثمة إشارة منهجية في غاية الخطورة يحملها مضمون هذا النص، وذلك في حالة التعميم المتسرع، فإنه ينبغي العودة قهقريًا إلى الجزئيات (التي بدأنا منها) ومراجعتها، وكذا مراجعة العملية الاستدلالية برمتها؛ وهذه الطريقة في المنطق تسمى التحليل المعكوس فبدلاً من الانتقال من المقدمات إلى النتائج وهذا هو الشائع، فإنه في حالة الرغبة في

مراجعة النتائج التي حصلنا عليها نقوم بالسير في الطريق العكسي من النتائج (التعميمات) إلى المقدمات (الجزئيات)[٦٠].

وفي نص بالغ الدلالة في مقدمة كتاب (المطارحات) يقول ميكافيلي : "لما كان من الخطر؛ بسبب غريزة الحسد المتأصلة في طبيعة الإنسان، أن يكتشف طرقًا (مناهج)[*] وأساليب جديدة. ولما كانت هذه الخطورة لا تقل مطلقًا عن اقتحام المجهول، بحثًا عن محيطات جديدة، وأراضي غير معروفة"[٦١]. ويربط ميكافيلي بين الوصول إلى العالم الجديد (الأمريكتين) واكتشافهما بواسطة كريستوفر كولومبس، وبين افتراضه لمنهج مبتكر في فهم التاريخ وممارسة السياسة، لدرجة جعلته يقرر أن اكتشاف المجهول ومعرفة العالم الجديد؛ لأن هناك من سلكوا طريقًا غير معتاد؛ وغير معروف. والأمر نفسه في التاريخ والسياسة، فإن استخدام طريق منهجي جديدٍ سيقودنا إلى كشف مجهول وحقائق لم تكن معروفة لنا من ذي قبل، ولذلك يقطع الشك باليقين قائلاً : "قررت السير في طريقة جديدة لم تطأها قدم إنسان من قبل"[٦٢].

وثمة رأي جديد في بابه يقول "هناك الكثير من الصحة في ادعائه – يقصد ميكافيلي – اكتشاف طريق (منهجية) جديدة لم يطرقها سواه من قبل؛ فهو، وليس فرنسيس بيكون مبتكر الطريقة الاستقرائية، (فبيكون) يضع المبادئ التي تنطوي عليها الطريقة ويطبقها على الطبيعة، ولكنه لم يبتكر الطريقة وفلسفتها، وإنما عثر عليها مستعملة استعمالاً فعليًا في كتابات نيقولا ميكافيلي"[٦٣].

ويستخلص صاحب الطرح السابق نتيجة مهمة، هي "أن الاستقراء يعني فكرة طحن (أي تفكيك المعقد) وتحليل العلوم؛ على أساس ثابت من الملاحظات الممحصة، وحمل لواء المعرفة بَجَلد وثقة عن طريق جمع ما ندعوه بالحقائق ومقارنتها وتحليلها ... ولا ريب أن ميكافيلي قد حقق هذه الشروط"[٦٤]، ولو تأملنا قول ميكافيلي الذي قرر فيه أن : "الناس يلجأون في المنازعات المدنية ... وفي الأمراض التي يُصاب بها البشر إلى القرارات التي وضعها الأقدمون، وما توصلوا إليه من وصفات طبية، فما القانون المدني إلا مجموعة من القرارات التي وضعها المشرعون الأقدمون، والتي صاغها مشرعو اليوم في شكل منظم ... وما الطب في الوقت نفسه إلا سجل للتجارب (خبرات) التي قام بها أطباء الأمس، والتي يستند إليها أطباء اليوم؛ في وضع وصفاتهم الطبية، وعلى الرغم من كل هذا فإننا لا نجد أميرًا أو جمهورية يعودان في بناء الجمهوريات والحفاظ عليها ... إلى دروس الماضي البعيد وعبره للإفادة منها، والحذو حذوها ... ويرجع السبب في رأيي إلى الافتقار للتقدير الصحيح للتاريخ ... وكأن السماء والشمس وعناصر الطبيعة والإنسان قد اختلفت كلها في حركتها ونظامها وطاقاتها، عما كانت عليه في الماضي"[٦٥].

وبنظره استشرافية يقرر ميكافيلي أن سياسة الرومان كانت أحكم سياسة، وذلك لأنهم لم يهتموا بالحاضر فقط، بل امتدت حساباتهم إلى المستقبل، فلربما لو داهمت المصائب وأحدقت بالأفراد والدول نتيقن بعدم الجدوى؛ وذلك على عكس الإنسان الذي استعد لها من ذي قبل، فشتان بين الاستعداد للمستقبل وقابل الأيام؛ وبين مداهمة ومفاجئة المستقبل لنا، فيصبح الأمر مثل "مرض السل التي يصعب على الأطباء اكتشافه في بداية الأمر، مع سهولة علاجه، إما إذا تأخر اكتشافه، فيصبح اكتشافه أيسر؛ لأن المرض يكون قد انتشر في الجسد، ومن ثم يصعب العلاج، والأدواء المعنوية التي تشبه مرض السل في تدبير الممالك كثيرة، ولا يستطيع أن يحسب للمستقبل حسابًا إلا الرجل (القائد) الخبير الحازم، فكثيرًا ما اتقى رجل بفطنته وذكائه وحصافته مصائب شعب برمته، أما إذا كان لم يكن رأس السياسة رجلاً (إستراتيجي محنك) كما بينت، فلا يبعد أن تقع البلاد في هاوية، وقد نشأت دولة الرومان ودرجت وشبت وهرمت وشاخت؛ وفيها رجال يحسبون للمستقبل ألف حساب، لأنهم عرفوا أن الحرب والسياسة توءم[٦٦]، ومن يُرِدْ أن يفوز في الحرب، فلابد أن يكون فائزًا في السياسة"[٦٧].

## المسلمات (البدهيات) في منهجية ميكافيلي :

ثمة حقيقة مسلم بها في تاريخ وفلسفة العلم وهي : أن الاستنباط المنطقي قد طُبق بحذافيره على بناء نسق إقليدس الرياضي، ومن ثم فإن هندسة إقليدس ذات أرومة منطقية لا تخطئها عين.

ومن الواضح أن كتاب (المطارحات) بخاصة عبارة عن مجموعة من الفرضيات التي ترقى إلى المسلمات والثوابت – على غِرار الطريقة الرياضية –؛ والتعميمات، بمعنى أنها صارت واضحة وثابتة ومتفق عليها عبر أزمان طويلة وممتدة، والبرهان يعني التلازم والترابط بين السبب (العلة) والمعلول (النتيجة).

١-المسلمة (البدهية) الأولى : تناسق الطبيعة :

المقصود بالتناسق الطبيعي هو ثبات الطبيعة الإنسانية بشقيها الفيزيقي والبشري، فالمستقبل يأتي على غرار الحاضر، والحاضر هو نتاج للماضي، ومن ثم فإننا نستطيع من خلال فهم الحاضر، استخلاص الدروس، والذين يزعمون باستحالة تكرار الأمثلة التي قام بها عظام الرجال – التاريخ لا يكرر نفسه – يتحدثون على حد قوله "وكأن النجوم والشمس والإنسان، قد غدت في حركتها ونسقها وطاقتها مختلفة عما كانت عليه في الماضي"[٦٨]. وبذلك فإن الخطأ في فهم السبب، يؤدي إلى الفشل في الحصول على النتيجة الصحيحة، ومن ثم نعود القهقري إلى الوراء باحثين عن السبب الحقيقي، وهناك إشكالية طرحها ميكافيلي وهي: هل يمكن اتخاذ الحرب مهنة

دائمة؟، ويجيب بأنه إذا حدث ذلك فإننا إزاء ثلاثة احتمالات، هي :

أ- الاضطرار إلى شن الحرب باستمرار وعدم إيقافها، وذلك غير ممكن تصوره.

ب- الاضطرار إلى دفع الرواتب على الدوام، وهذا قد يدمر مالية الدولة وخزينتها.

ج- المخاطرة باتحاد هؤلاء المتخذين للحرب مهنة دائمة، فيغلبوا الأمير على ملكه، وبذلك تتعرض الدولة لخطر الانهيار؛ بسبب التناحر والصراع الداخلي(٦٩).

وللتغلب على هذه المشكلة، افترض ميكافيلي تجنيد المقاتل من سن السابعة عشرة إلى الخامسة والثلاثين عام، وهي فترة القوة والعنفوان، ويقول في ذلك : "حيث إن الزمن لم يتغير، فإنهم غيروا – أي الرومان – الرجال فظلوا يبدلون الرجال في فيالقهم، بحيث يعيدون ضخ الجنود في الفيالق بالكامل كل خمسة عشر عامًا، فقد كانوا يبغون رجالاً في زهرة أعمارهم ... وكذلك لم يكونوا يتوقعون أن تقل قواهم وأن تنمو فيهم الشحناء"(٧٠). ويتابع قائلاً: "إن أجدادي الرومان كانوا حكماء وصالحين – يقصد في شئون الحكم والسياسة-؛ فإنهم لم يسمحوا أبدًا لمواطنيهم اتخاذ مهنة الجندية حرفة لهم"(٧١).

ويمكن النظر إلى بدهية التناسق ووصفها كالآتي : إن التراكيب الطبيعية كالهيئات السياسية، تمر دائمًا في عمليات تحول مستمرة ومطردة، تتشابه تمامًا، وكما يمكن وضع القوانين بالنسبة إلى الفئة الأولى التي تشرح تلك العمليات التي تجري، فإنه في الإمكان أيضًا وضع قوانين مماثلة للأخرى(٧٢).

٢-البدهية الثانية : السبب وعلاقته بالنتيجة :

في نص بالغ الأهمية يقول : "يمكن مقارنة الظروف المعاكسة (الحظ السيء) بنهر سريع الانسياب تنهار شواطئه عندما يفيض، على أنه من الواجب ألا يفُت ذلك في عضدنا، وألا يحول دون إقامة الاستحكامات، ودون قيامنا بحفر الخنادق، واتخاذ الاستعدادات الأخرى – حينما تتاح الفرصة – حتى نستطيع الاحتراس من خطر النهر إذا فاضت مياهه مرة أخرى، وإذا كان الوقوف في وجه التيار غير ميسور، فمن المستطاع في أقل تقدير جعله يتجه إلى قنوات، وبذلك يتم إلى حد معقول ومقبول كبح جماح النهر عند اندفاعه"(٧٣).

ويذهب الفيلسوف كاسيرر إلى تعامل ميكافيلي مع السياسة بوصفها تقنية – هكذا بالنص-، على أن البحث عن علاج، بعد أن يكون الشر قد استفحل واستشرى في الجسم السياسي سيكون العلاج متأخرًا، ودائمًا ما استهوته مقارنة الفن وعبقرية السياسي؛ بفن الطبيب الحاذق – لاحظ أن كلا من السياسة والطب علمٌ وفنٌ في نفس الوقت-، إذ يقوم فن الممارسة الطبية على ثلاثة أُسس، هي : التشخيص الدقيق، والتوقع الصائب، والعلاج الناجع. وأهم شئ من وجهة نظره هو الاكتشاف المبكر للمرض في الوقت المناسب، حتى يتيسر لنا إعطاء العلاج قبل استفحال

الدواء، فلو أخفقنا في الاكتشاف المبكر سوف تصبح الحالة ميئوسًا منها تمامًا، ولعمري إن فهم الإستراتيجية من خلال ذلك فقط (الفهم الاستباقي) لهو قمة العبقرية (الاستشراف المستقبلي) في أبهى صورها(٧٤).

ويسوق ميكافيلي واقعة فريدة حاول من خلالها الربط بين السبب والنتيجة، ويمكن صياغتها في الخطوات الآتية :

١- كانت مدينة فلورنسا قد فقدت جزءًا من ممتلكاتها؛ بعد عام ١٤٩٤م مثل مقاطعة بيزا وغيرها من المقاطعات.

٢- تحتم على فلورنسا شن الحرب على المحتلين.

٣- أسفرت الحرب عن نفقات كثيرة – (ضرائب بدون الحصول على نتيجة ملموسة).

٤- أسفرت النفقات والضرائب عن شكاوي من الجماهير والشعب.

٥- بما أن إدارة الحرب قد أُسندت إلى مجلس قضائي؛ يضم عشرة مواطنين – يُعرف بمجلس العشرة–، فقد طالب شعب فلورنسا، بإقالة هذا المجلس؛ واعتباره المسئول عن هذه الحرب الفاشلة.

٦- إذن اقتنع الشعب بأن إقالة مجلس العشرة سيؤدي لإنهاء الحروب.

٧- استُبعد مجلس العشرة، فلم يتم انتخابه، وأُسندت الحرب إلى مجلس بديل وهو مجلس السيادة؛ وأسفر الأمر عن زيادة الفوضى والاضطراب.

٨- ضاعت أقاليم أخرى كأقليم ايرزو ، اقُتطع من فلورنسا.

٩- ندم الشعب على خطئه، وعاد الشعب إلى تعيين مجلس العشرة.

١٠-النتيجة "إن سبب الألم عائد إلى المرض نفسه، لا إلى الطبيب أي مجلس العشر"(٧٥).

٣-<u>البدهية الثالثة</u> : <u>الأسباب المتشابهة في الظروف المتشابهة، تؤدي إلى نتائج متشابهة</u> :

لقد درس ميكافيلي السياسية بنفس طريقة العلوم الطبيعية ومنهجيتها، وبذلك أضحى ميكافيلي "مؤسس علم الإستاتيكا السياسية – القواعد والأسس الثابتة والدائمة التي لا تتغير–، وعلم الديناميكا السياسية – أي التحولات والتغيرات بفعل مؤثر أو عدة مؤثرات؛ وضروراته الحتمية"(٧٦)–. ويذكر قاعدة من أهم دروس التاريخ ومبادئ السياسة، وأظنه قد صاغها عقب اطلاعه بعمق على تاريخ كثير من الأمم (استقراء التاريخ)، فيقول : "وفي عادة البشر الارتباط بالمنافع، ولذا فلا يصعب على أمير شجاع أن يحفظ همة شعبه أثناء الحصار، إذا كان لديه ما يكفيه من الرزق والذخيرة"(٧٧).

**٤-البدهية الرابعة : الأسباب المتشابهة في ظروف غير متشابهة، قد تؤدي إلى نتائج غير متشابهة :**

**حاول ميكافيلي الإجابة عن سؤال في غاية الأهمية يقول : هل من الأفضل في حالة الحرب البدء بالهجوم، ومباغتة العدو في عقر داره؟، أم الانتظار لحين قدوم الخصم إلى داخل البلاد؟ والسؤال بطريقة أخرى هل نذهب لأرض الخصم لشن الحرب؟ أم ننتظره في بلدنا لقتاله؟(٧٨)، وللإجابة على السؤال، يستشهد مكيافيللي بآراء كل الفريقين وهما الفريق المؤيد للحرب داخل أرض الخصم، والفريق المعارض للذهاب إلى عقر دار العدو، والانتظار لحين مجيئه(٧٩). للاستدلال على أن الظروف التاريخية غير المتشابهة تؤدي بالضرورة إلى نتائج غير متشابهة.**

**أولاً : آراء الفريق الأول المؤيد للذهاب لأرض الخصم :**

**أ- هانيبال (٢٤٧-١٨٣ق.م) أحد عباقرة الحرب في كل الأعصر، حتى قيل عنه : إنه حول القتال إلى ما يشبه رقعة الشطرنج، وتوجت انتصاراته على الدولة الرومانية في عقر دارها بانتصاره في كانية (٢١٦ ق.م)، ولذلك يطلق عليه "ساحر كانيه" ومعروف أن عدد قواته كان أقل من عدد قوات الرومان، وبالرغم من ذلك أباد الجيش الروماني عن آخره في تلك المعركة، ولقد جرت هذه الحرب في عقر دار الإمبراطورية الرومانية.**

**ب- سكبيو (٢٣٦-١٨٣ ق.م)، الذي أنقد الدولة الرومانية من الانهيار بسبب الهزائم المتكررة أمام هانيبال، وقاتله بنفس طريقته، بأن شن عليه الحرب في عقر داره، فدارت رحى الحرب في قرطاجنة، وبعد تحضيرات كثيرة، تمكن من الانتصار النهائي في معركة زاما (٢٠٢ ق.م)(٨٠).**

**ثانيًا : آراء الفريق الثاني المعارض للذهاب إلى أرض الخصم :**

**أ- الاستشهاد بما وقع لأهل أثينا إذ كانوا أصحاب اليد العليا في كافة الحروب التي خاضوها على أرضهم، ولكنهم حينما غادروها لقتال صقيلة هزُموا شر هزيمة. وعلى هذا فيجب البحث عن طرق وخطط لاستدراج العدو إلى داخل حدودنا لسحقه وإبادته(٨١).**

**ب- الاستشهاد بملك إمارة نابولي حينما حضرته الوفاة فأوصى ابنه – وريث الملك – بعدم الذهاب لقتال شارل الثامن (١٤٧٠-١٤٩٨م) ملك فرنسا في حصونه وأرضه، ولكن أمير نابولي لم يستمع إلى النصيحة؟ وذهب للقتال خارج وطنه، فلقى هزيمة كلفته حياته وعرشه(٨٢).**

**وهنا نأتي إلى تحليل ميكافيلي فيقرر "أن الحاكم الذي يقود شعبًا حسن التسلح، وكامل الإعداد للحرب، أن ينتظر في وطنه خوض المعركة ضد عدو قوى وشديد الخطورة، وعليه أن لا يمضي للقاء هذا العدو، أما الحاكم الذي يكون رعاياه سَيِّئِي التسلح، وبلاده لا تألف الحرب،**

فعليه أن يلقى عدوه دائمًا بعيدًا عن وطنه، بل وفي أبعد نقطة يستطيعها، وهكذا يتمكن كل من الحاكمين، من إجادة الدفاع عن نفسه كل حسب طاقته وإمكاناته"(٨٣).

ومن ثم يكون استخلاص ميكافيلي هو أنه بالرغم من تشابه الأسباب (المقدمات والشروط) إلا أن الظروف مختلفة، ومن ثم لابد أن تكون النتائج مختلفة، فالأسباب تعمل عملها، فهذه حقيقة لا يمكن إنكارها؛ ولكن هذه الأسباب تحدث في محيط وظروف متغيرة، وبتغير الظروف غالبًا ما تتغير النتائج. وما كان لميكافيلي القدرة على استنتاج ذلك بدون استقراء الوقائع ومقارنتها وتحليلها، ثم استنتاج القواعد؛ أي أنه بدون أدنى مبالغة قد جمع بين الجانب (التجريبي) وهو الاستقراء، والجانب الاستدلالي وصولاً إلى المقارنة والحكم. وبذلك فإنه على الرغم من الانتظار داخل حدود الدولة يعطي الجيش ميزة الراحة والحصول على المؤن ومعرفته التامة بأرض المعركة (مسرح العمليات)، إلا أن هذه الأسباب رغم وجاهتها وأهميتها القصوى؛ تظل بلا قيمة في حالة أن تكون الجبهة الداخلية ضعيفة وغير متماسكة، أوعدم كفاية الحصون والأسوار ووسائل الدفاع لصد الأعداء ومنعهم، ومن ثم يجب عليه لقاء العدو في أقصى نقطة ممكنة بعيدة عن دولته أو إمارته، فاختلاف الظروف هنا هو الفيصل، في اختيار المبادأة والمبادرة؛ أم التحصن؟

٥-<u>البدهية الخامسة:</u> أي نتيجة محددة، تعود إلى مجموعة أسباب محددة، وعدم وجود سبب من هذه الأسباب، يؤدي لانعدام النتيجة :

وذلك لأن الحدث التاريخي يأتي دفعة واحدة، فإذا كانت الأسباب تجتمع لإنتاجه، فغياب أحد هذه الأسباب قد يؤدي إلى انعدام النتيجة الكلية، فالكل عبارة عن عدة أجزاء، وغياب جزء من هذه الأجزاء؛ ينعكس بالضرورة سلبًا على النتيجة (الكلية)(٨٤).

٦-<u>البدهية السادسة</u> : في ظروف محددة، لا نستطيع الجزم والقطع بتحديد الأسباب، وعلى هذا فإننا نلجأ إلى حساب الاحتمالات :

وهذا يعني أنه لا يمكننا سوى الترجيح وليس الحسم، فتصبح كافة الأسباب (المعطيات) مهمة بالنسبة لنا(٨٥)، والتعامل معها بأهمية وعدم الاستخفاف بأي منها وترتيبها حسب إمكانية توقع الحدوث.

## لوتفاك وإستراتيجية المنطق المعكوس (الفُلك):

إذا تأملنا أسلوب لوتفاك، سنجده قد طور منهجية وإستراتيجية ليدل هارت (١٨٩٥ – ١٩٧٠م) هادفًا إلى تجنب النصر البيروسي(*)، وذلك من خلال أسلوب وطريقة منطقية في التفكير ترتكز على الاستدلال غير المباشر أو ما يُعرف بالمنطق المعكوس، وأحيانًا يسمي ببرهان

الخُلف، وكل هذه الاستدلالات تنضوي تحت عباءة برهان الخُلف، وهو البرهان على عكس المطلوب[٨٦]، وهذا البرهان نلجأ إليه عندما نعجز عن البرهان بطريقة مستقيمة مباشرة؛ فإذا فرضنا أننا لم نستطع البتة استخدام البرهان المباشر لإثبات أن أ + ب > س + ص، وتأكدنا تمامًا أننا بكل التقنيات المنهجية والوسائل المتاحة عاجزين عن ذلك، فإننا في هذه الحالة نحاول إثبات أن أ + ب < س + ص[٨٧]. أي إثبات العكس – عكس المعطي الأصلي؛ (عكس القضية).

فلقد عرفت الفلسفة مناهج البحث، والمنطق وأنواعه وأساليبه العديدة، كالمنطق الصوري، المنطق الاستقرائي، والمنطق الرمزي (الرياضي) وكذا المنطق الهورستيكي، أو ما يُعرف بمنطق البحث عن الحل، ولقد أضاف لوتفاك (المنطق الإستراتيجي)، ووصفه بأنه منطق المفارقات Paradoxical Logic، وهذه النوعية من الاستدلال المنطقي، تختلف عن المنطق المستقيم، وتقترب من المنطق المعكوس والمقلوب ظهرًا لبطن (رأسًا على عقب Inverted Logic). ويختلف تمامًا عن منطق المقدمات والنتائج المألوف، أي منطق العلاقات السببية[٨٨]، والذي نريد الانتهاء إليه أن المنطق الإستراتيجي عبارة عن المفارقات غير المنطقية، والغرائب غير المعقولة، (منطق النقائض المقلوب؛ والأضداد المعكوسة).

ومفهوم المنطق المعكوس كما هو في القاعدة التاريخية والإستراتيجية وهي : إذا أردت السلام الدائم، والأمن الحقيقي فكن مستعد دائمًا للحرب"[*]. وكذا القاعدة الأساسية "الهجوم خير وسيلة للدفاع"[**]، ويلاحظ على هاتين القاعدتين التناقض التام مع المنطق المستقيم، فكل قضية منهما تحتوي على قطبين متنافرين تمام التنافر ونقيضين مطلقين، ثم بإمعان النظر والتعمق في الأمر يتضح أن العلاقة التي تربط هذين الضدين وتجمعهما هي علاقة اتصال، واستكمال، قد تنقلب إلى ظاهرة استبدال، وليست علاقة نفي واستبعاد، وعلى المستوى الإبستمولوجي – الاستدلالي تحديدًا – فإن السلام والحرب نقيضان، فكيف نريد السلام، ونظل في حالة استعداد للحرب، فهذه القضية المنطقية من منظور المنطق المباشر هي قضية خاطئة، وذلك لمخالفة قانون أساسي من قوانين الفكر الأساسية الثلاثة وهو قانون عدم التناقض، وينص هذا القانون على أنه لو افترضنا أن (أ) عكس (ب) ونقيضها، فلا يمكن إطلاقًا تصور أن تكون (س) هي (أ)، (ب) في وقت واحد، ولكن قواعد المنطق تحتم أن (س) هي (أ)، أو س هي ب، ولا مجال لتصور عكس هذا، وذلك ما نسميه بقانون (إما ... أو) فلون الثوب هو أبيض، أو أسود ولا وجود لحالة وسط مطلقًا[٨٩]، وهذا صحيح في منطق العلم– والعلل – أو المنطق الاستاتيكي، (الثابت) الذي لا تبدل ولا تغير فيه، منطق التفكير المجرد[٩٠].

أما على مستوى المنطق الإستراتيجي يتضح أنه منطق الصراع، ومنطق الصيرورة، "الأسلوب المنهجي الذي يضع خطة للتعامل مع صراع الإرادات"(٩١). وهذا اللون الاستدلالي أشبه بالأعاصير مهما حاولنا صياغة منهجية وطريقة منضبطة للتعامل معها، إلا أنها تظل قائمة على المباغتة والمفاجأة، وعلى هذا فليس أمامنا سوى الاحتمال النسبي بدلاً من اليقين المطلق، ومن ثم فإذا كان المنطق المستقيم مطلق النتائج، فإن المنطق الإستراتيجي هو منطق احتمالي وحتى الاحتمال الأرجح نفسه لا يظل راجحًا على طول الدوام(٩٢).

والملاحظ أن المنطق الإستراتيجي يقلب المنطق المستقيم، ويجعله يدور حول نفسه دورة كاملة تصل إلى ٣٦٠ درجة، فتختلف الاعتبارات والمفاهيم، والصواب يتحول إلى خطأ، والشر إلى خير، والخير إلى شر، والنافع ضارًا والضار نافعًا، والعكس في كل شئ تقريبًا(٩٣).

وثمة مثال يجلو الحقيقة لهذا التفسير الفريد في بابه، لو افترضنا جدلاً رغبتنا في التحرك للانتقال من مكان إلى آخر، وأمامنا خارطة جغرافية، فقد يكون سفرًا، وقد يكون جولة سياحية، وقد يكون هجومًا على المستوى العسكري في المنطق الإستراتيجي، وذلك للقضاء على قوة معادية؛ أو استرداد منطقة محتلة(٩٤)، فإذا كان سفرًا، فإننا حتمًا سنختار الطريق المباشر في ضوء المنطق الفلسفي، وبصفة محددة سنختار الطريق المألوف السهل الواضح، وكلما كان أقصر، كان ذلك مناسبًا تمامًا؛ انطلاقًا من القاعدة الهندسية بل والحياتية التي تقرر: إن أقصر طريق بين نقطتين هو الخط المستقيم. وليس الدائري أو المتعرج؛ غير المختصر(٩٥).

أما إذا افترضنا اختيار الطريق بهدف قتال حربي، فإن الطريق المألوف يكون متوقعًا من الخصم، ومن ثم يُشدد الحراسة والمراقبة عليه، وبالتالي فإننا إذا اخترناه للسير فيه، نكون قد كشفنا عن نيتنا وخسرنا زمام المبادرة بالفعل (الهجوم)؛ ومن ثم فقدنا عنصر المفاجأة، وهذا على المستوى الإستراتيجي يعد فشلاً ذريعًا وخطأً لا يغتفر. ولذلك يُعد هذا الطريق الأقصر من وجهة نظر المنطق الاستدلالي المعتاد، هو الطريق الأبعد، وليس الأقصر؛ لأن الفشل يصبح الاحتمال الأرجح، وبالتالي سنعيد الكَرَّة مرة أخرى، وومن ثم سنختار طريقًا غيره، وهذا الطريق سيكون غير مألوف، وغير متوقع بالمرة من العدو، ولهذا يمكننا مباغتته وهي أهم عناصر تحقيق النصر – على الأقل في المرحلة الافتتاحية للحرب – ومن هنا تصبح المقولة المباشرة الثابتة في المنطق المألوف "أقرب طريق بين نقطتين هو الخط المستقيم" مقولة خاطئة وضارة تمامًا وتؤدي إلى الخسارة، إن لم تكن إلى الهزيمة التامة، وتصبح المقولة، "أن الطريق الأبعد هو الأقصر"، وذلك لأنه يؤدي إلى الهدف المنشود؛ لصعوبة إن لم يكن استحالة توقع العدو له(٩٦) (المفاجأة الإستراتيجية).

ووفقًا لما سبق تعد منهجية لوتفاك ومقاربته المنطقية القائمة على المفارقة، والتعارض بين ما اعتاد عليه العقل من قوانين وثوابت، وبين ما يجب عليه فعله ومخالفة هذه الثوابت لإنجاز الهدف، فذلك يُعد بحق قمة التأمل الفلسفي وعبقرية في توظيف الدراسة الأكاديمية (ونحن مازلنا نصف عن جهل العلوم الإنسانية بأنها علوم غير تطبيقية)[٩٧]، وبذلك فإننا ننتهي إلى أن المنطق الاستدلالي المعتاد يتوجب عليه، اتخاذ القرار المنطقي المتعارف عليه، على عكس المنطق الإستراتيجي، الذي يتوجب من خلاله اتخاذ القرار غير المألوف – الذي يقوم على المفارقة والتباين –، وهذا المنطق نستطيع القول عنه : منطق الصراع والصدام[٩٨].

منطق الخُلف عند لوتفاك وتعدد الاحتمالات :

## الأساس التنظيري والمنهجي :

المقصود بذلك التكتيك المنطقي تقديم الطرح الفكري في صورة معكوسة، فإذا افترضنا قضية رياضية وهندسية تقرر أنه يوجد في الشكل الهندسي المتشابك المعقد (أي الذي يحوي عدة أشكال هندسية متداخلة) مثلثٌ جميع أضلاعه الثلاثة متساوية. وافترضنا جدلاً عدم توفر القدرة بكافة الطرق والوسائل البرهانية على إثبات القضية السابقة (القضية الأصلية/المباشرة)، وكل البراهين التي تم استخدامها هي براهين مباشرة (مستقيمة)، وفي هذه الحالة نطرح قضية مغايرة ومخالفة تماماً للقضية الأصلية وهي : يوجد في الشكل الهندسي المتشابك والمعقد مثلث مختلف الأضلاع، وهي قضية مخالفة (خُلف) للقضية الأصلية، ومن هنا عُرف بمنطق (برهان الخُلف) الذي هو عكس المعطى الأصلي تمامًا[٩٩].

إذن هناك على المستوى المعرفي قضيتان هما :

(أ) الأولى : يوجد شكل هندسي متساوي الأضلاع. (قضية أصلية) لم يتوفر لها برهان.

(ب) الثانية : يوجد شكل هندسي مختلف الأضلاع. (عكس القضية الأصلية/خُلف) نحاول برهانها.

وثمة عدة نتائج تترتب على القضيتين وهي :

١- القضية (أ) : لأن الأضلاع الثلاثة متساوية في الطول، فلا مندوحة عن حتمية تساوي الزوايا الثلاث في القياس، ولابد أن تكون كل زاوية تساوي ٦٠ درجة بالضبط، ولا يمكن تصور عكس ذلك.

٢- القضية (ب) : ينشأ عنها عدة احتمالات وهي :

- اختلاف الأضلاع الثلاثة يؤدي حتمًا إلى اختلاف جميع الزوايا في القياس.
- تساوي ضلعين فقط، يؤدي ذلك حتمًا إلى تساوي زاويتين اثنتين في القياس.
- احتمال نشأة مثلث منفرج الزاوية.

- احتمال نشأة مثلث قائم الزاوية.
- احتمال نشأة مثلث حاد الزاوية.

---

النتيجة : تنشأ لدينا في الحالة (أ) خيار (احتمال) واحد فقط.

تنشأ لدينا في الحالة (ب) خيارات (احتمالات) عديدة (خمسة احتمالات)[١٠٠].

ومن هنا فإن منطق الخُلف يتماهى مع جوهر الأطروحات الإستراتيجية، التي نقيس نجاعتها بقدرتها على توفير عدة (خيارات / احتمالات)، وبالتالي يقع الخصم في حيص بيص بينما يوفر لدينا القدرة على اختيار ما يناسبنا من الاحتمالات المتعددة[١٠١].

مثال تطبيقي على التنظير السابق :

أ- امتلكت ألمانيا عدة خيارات لاختراق الدفاعات الفرنسية في الحرب العالمية الثانية، ولذلك لم تتوقع فرنسا والحلفاء مكان المجهود الرئيس (الرئيسي) لشن الهجوم واجتياح فرنسا وزمانه[١٠٢].

ب- امتلك الحلفاء (أمريكا، إنجلترا، روسيا، بقايا الجيش الفرنسي ...) عدة خيارات لاختراق الدفاعات الألمانية (جدار الأطلسي)، ولذلك لم تتوقع ألمانيا مكان المجهود الرئيس لشن الهجوم "إنزال نورماندي"[١٠٣].

ج- امتلاك المقاومة الفيتنامية خيارات عديدة لمهاجمة القوات الأمريكية (بساطة الأسلوب القتالي، والبساطة أيضاً تكتيك منطقي)[١٠٤]. ولذلك لم يستطع الجيش الأمريكي تحديد أية مواقع إستراتيجية يدافع عنها.

---

إذن كلما زادت مجموع الخيارات (الاحتمالات) زادت فرص إحراز النصر[١٠٥].

ومنطق الخُلف يعني أيضًا استخدام القاعدة الإستراتيجية بطريقة عكسية، فإذا كانت القاعدة تنص على شن الهجوم في أول ضوء أو آخر ضوء، فلقد خالفت ذلك خطة المصريين المذهلة لعبور قناة السويس وشنت الهجوم في وضح النهار[١٠٦]، وسبق ذلك قيام الاتحاد السوفيتي السابق بذات الأسلوب والمنهجية بتجميع القوات وحشدها للهجوم على تشيكوسلوفاكيا، تحت ستار إجراء مناورة عسكرية (نفس الخطة السوفيتية "الأساس الفكري" ولكن الإبداع والفن العسكري المصري أدخل على الخطة السوفيتية تعديلات جوهرية تتناسب مع الإمكانيات التسليحية المحدودة)، وتمت خطة الحشد والتعبئة في ظل مسرح عمليات مكشوف، يستحيل فيه إخفاء تحركات الحشود الضخمة التي تمت تحت سمع العدو وبصره، ولكن لدفع الخصم لافتراض

خاطئ بشأن تفسير هذه الحشود الضخمة، ثمة تكتيكات وأفكار عبقرية(*) جُلها يعتمد على معيار البساطة، وإلزام الخصم وإجباره بنسبة كبيرة على التحليل والفهم الخاطئ(١٠٧).

## المنطق الإستراتيجي وتحليل الوقائع التاريخية :

### ميكافيلي :

سبقت الإشارة إلى تصنيف كاسيرر لميكافيلي ضمن منظري الإستراتيجية، وأن منهجيته استندت إلى دعامتين هما : الدعامة المنطقية، ودعامة الابتكار –، ولذلك يقرر "لا وجود لأي إنسان يتمتع بحكمة دائمة تساعده على التكيف مع كل المتغيرات؛ ويتعامل تعاملاً موفقًا، ولا يستطيع بعض الناس معرفة كيف يتصرفون على نحو يخالف ما ألفوه واعتادوا عليه، ولا يستطيع البعض الآخر إقناع نفسه بترك توجه حياتي ما؛ اعتاد النجاح فيه. وبالتالي فإننا لا نجد بصورة عامة الذي يتصف بالهدوء والحذر، وإمكانية القيام بدوره في مواقف تستوجب القوة وسرعة الحسم، وبذلك يتم ترك الأمور متأرجحة. أما من كان قادرًا على تغيير سلوكه تبعًا للمواقف (المرونة)، فإنه لن يرى مسوغاً للشكوى من الظروف المحيطة والتذرع بأنها معاكسة"(١٠٨).

وإذا كان كاسيرر قد قطع بأن ميكافيلي إستراتيجي عتيد بامتياز، وأنه قد امتلك العقلية المنطقية الرصينة والقدرة على رصد المقدمات الواقعية الصحيحة، والانتقال إلى نتائج معقولة لا تشوبها شائبة، ومن ثم فإنه قد جمع بين ما يمكن أن نقول عنه جناحا الاستدلال، وهما : أولاً : الاستقراء للواقع، وثانياً : الحصول على النتائج من خلال معقولية الاستدلال ومنهجيته.

وإذا دققنا النظر في كتابه : (فن الحرب) سيتضح جليًّا تنبيهه على مراعاة قواعد الحرب والإستراتيجية وفنونهما من خلال المثال الآتي :

١- تأكيده على أن الرومان كانوا يتحاشون أماكن المعارك المغلقة، ويبحثون عن الأماكن المفتوحة؛ لسهولة المناورة بالتقدم والتراجع، وما شابه ذلك(١٠٩).

٢- مراعاة ترتيب الجنود واصطفافهم حسب ضوء الشمس في بداية القتال، وأثناء القتال. لأن الشمس تغير وضعها، فهكذا فعل هانيبال في معركة كانيه الشهيرة، وعدم مراعاة ذلك كان سببًا لهزيمة الفرنسيين أمام الإسبان في معركة تشيرنيولا (١٥٠٢م)(**)، وكذلك قيام سكبيو في معركة زاما الفاصلة بترتيب الجيش على أرض المعركة بحيث يترك فراغات كبيرة، حتى تتمكن أفيال الجيش القرطاجني المعادي بالانسحاب، بدون إثارة أية أنواع من الفوضى في صفوف جيش سكبيو(١١٠).

ووفقًا لذلك فإن ميكافيلي بسبب إمكانية التشكك في النتائج، الخاصة بالصدامات العسكرية قرر الثقة في العقل وقواعده، ودعوته لنظام عسكري يتفق مع خبرات الواقع وقوانين المنطق، فهذا

من شأنه تقليل نسبة المصادفة في ربح أو خسارة الحرب(١١١). وكذلك "فإنه قد فضل المثال التاريخي عن كل ما عداه، بوصفه ضوءًا كاشفًا مساعدًا في استنتاج القاعدة الإستراتيجية"(١١٢).

بعض قواعد الإستراتيجية التي أرساها ميكافيلي :

١- نظرية المجال الحيوي Lebensraum : وهي أحد أركان علم الجغرافيا السياسية (الجيوبولتيك) ودعائمه – إن لم تكن أهمها –، ولقد تم ذكر هذا المصطلح بالنص في كتاب (المطارحات)، ومعروف أن اشتعال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥م)، راجع في جانب كبير منه إلى مطالبة ألمانيا بمجالها الحيوي(*)؛ ومنذ صك ميكافيلي هذا المصطلح، وحتى الآن لم يحدث له أي تغيير أو تعديل(١١٣).

٢- تدشينه للقاعدة التي تقول : "يمكن أن تبدأ أي حرب في أي وقت تريده، ولكنك قد لا تتمكن من التحكم في نهايتها"(١١٤). وعلى هذا فإنه يجب أن نقوم بعمل حساب إستراتيجي لإمكانياتنا وإمكانيات الخصم، حتى لا تأخذنا نشوة البداية ويطول أمد الحرب، وعن طريق عملية استقراء للحروب والمسئولين عن بدايتها، يتضح أنه في أحيان كثيرة أن من يبدأ الحرب، لا يكون في قدرته وضع حد لنهايتها(١١٥).

٣- الاستشراف والتنبؤ بخط سير الأحداث، ومن ثم التعامل مع البدائل المعمول حسابها سلفًا له أهميته القصوى لديه، وليس أوضح من قول ميكافيلي "إذا كان المقرر أن نقارن بين الحاضر والماضي البعيد، ففي وسعنا الرؤية بسهولة أن هناك رغبات متشابهة وعواطف واحدة تكون موجودة دائمًا وفي جميع الأوقات، عند مختلف الشعوب ... وعلى هذا إذا درس المرء بشئ من المثابرة شئون الماضي، كان من السهل عليه التكهن بمستقبل أي دولة من الدول، وأن يطبق نفس العلاجات التي استُخدمت في الماضي"(١١٦). وبذلك فإن إستراتيجية إدارة الصراع تستفيد بالإرث التاريخي إلى حد بعيد، لدرجة تطبيق نفس القواعد السابقة على الحالات الحاضرة المشابهة.

٤- الأمثلة التاريخية التي ساقها ميكافيلي ليست كلها حربية، ولكنه ساق أمثلة على فن التفاوض والدبلوماسية، كالمثال الذي قدمه لفن التفاوض بين المسئول عن حكم إحدى المقاطعات وجموع الناس الغفيرة التي تطالب بإسقاط الحكومة بأسرها عقب هزيمة روما المذلة أمام هانيبال في معركة كانيه، ولكن أمير هذه المقاطعة أقنعهم أنه ليس أمامهم سوى خيارين اثنين لا ثالث لهما وهما :

أ- إما الإتيان بحكومة مجهولة ليست لها دراية بالأمور في هذا الظرف العصيب.

ب- إما أن تُترك هذه المقاطعة بدون حكومة من الأساس، وبالتالي تسوء الأمور.

وعلى هذا اختارت الجماهير راضية استبقاء الحكومة الموجودة بالفعل، مشترطين العمل على تقوية حصون الإمارة ووسائل الدفاع عنها(١١٧).

**الإستراتيجية وتحليل الوقائع التاريخية عند لوتفاك:**

منطق الإستراتيجية عبارة عن مبارزة عقلية وفكرية بين فريقين متصادمين، كل منهما قد قرر اللجوء إلى القوة؛ لتليين – إن لم يكن كسر – إرادة الطرف الآخر، ولذلك فإنه من الممكن أن يكون الصدام بين قوتين بينهما شبه تكافؤ، أو تكافؤ حقيقي، أو بين قوى وأضعف منه(١١٨).

والسؤال المطروح هل إذا واجه الضعيف القوي؛ كانت النتيجة محسومة لصالح القوى؟ والحقيقة أن التاريخ يفاجئنا بإجابات عديدة لهذا السؤال المهم، فليس في كل الأحوال تكون نتيجة النصر محتومة لصالح القوى، فكثيرًا ما انتصر الطرف الأضعف، فلن نذهب بعيدًا، هل كان هناك شبه توازن بين الولايات المتحدة الأمريكية، وفيتنام(١١٩)؟ والإجابة القطعية لا، ويظل السؤال قائمًا. إذن كيف أحرزت القوة الأضعف جدًا وهي (فيتنام) الانتصار على القوة المتعلقة (الولايات المتحدة الأمريكية)؟ وسيتضح أن المطلوب من القوى المحافظة على عوامل قوته وتفعيلها، ونفس الأمر فإنه يجب على الأضعف استثمار إمكاناته المحدودة جدًا، وفي نفس الوقت استغلال الثغرات لدى الخصم القوى والنفاذ إليه من خلالها، مع مراعاة إحكام غلق كل الطرق المؤدية إليه، وعلى هذا فإن الإستراتيجية في جوهرها وفقًا للوقائع التاريخية هي : كيف نضيف إلى أنفسنا سواء كنا أقوياء أم ضعفاء، وفي نفس الوقت كيف نخصم من رصيد خصمنا سواء كان قويًا أم ضعيفًا، ولذلك فالإستراتيجية تمثل صراع وهراش عقول جبارة؛ وإرادات وعزائم لا تلين(١٢٠).

وثمة ملاحظة خاصة بارتباط المنطق المستقيم (المألوف) بالصدام المباشر في الإستراتيجية، وكذا ارتباط المنطق المعكوس (غير المألوف) بطريقة الصدام غير المباشر وأسلوبه، فالأسلوب المباشر (المنطق المستقيم) في الإستراتيجية لهو مخاطرة تكون نتيجتها محفوفة بالهلكة والفناء، وغالبًا لا تؤدي بنا إلى النتائج المرجوة التي نتوقعها، ونرغب في الوصول إليها، أما استخدام أسلوب المنطق المعكوس فهو في معظم الحالات يؤدي إلى الغرض المطلوب، وتنتقل بنا من المجهول إلى المعلوم تدريجيًا رويدًا رويدًا، حتى صار هذا الأسلوب من حقائق الحكمة العقلية والنظرة الفلسفية العميقة للتاريخ، بل هو الأسلوب المتبع وقاعدة عامة من قواعد الحياة الإنسانية(١٢١).

وأسلوب المنطق المعكوس عند لوتفاك (المنطق الإستراتيجي) يستخدم في الدفاع والهجوم والدعاية المضادة والصراع الإيديولوجي، ويدل على أن هذا اللون الفكري قد دار دورة كاملة

(٣٦٠ درجة) وانقلب على المنطق المستقيم، وبدلاً من تحرك الطرف (س) باتجاه نقيضه (ص) كما في المثال : إذا أردت مفاجأة عدوك فاستخدم الطريق الأطول والأصعب، أو قاعدة نابليون: الهجوم خير وسيلة للدفاع، سنجد أن (ص) حلت محل (س) فانقلبت وتبدلت الغاية المعرفية، وحلت قاعدة معكوسة وهي أن (س) لا تؤدي إلى (ص) بل (ص) هي التي تؤدي إلى (س) فتم استبدال الموقع بالكلية[١٢٢].

وبالرغم من ذلك لا يمكن مخالفة المنطق المستقيم وفي كل الحالات، ففهم تحركات الطرف الآخر واستعداداته يمكن أن نفهمها دائمًا من خلال المنطق المعكوس، وقد يلعب المنطق المستقيم أيضًا، دورًا في صياغة القرار الإستراتيجي؛ لأنه قائم على التسلسل المنطقي المألوف[١٢٣]، والخلاصة: أن القرار الإستراتيجي يتم استنتاجه من خلال عدة مقدمات تسلم بصحتها سواء كانت هذه المقدمات بطريقة المنطق المستقيم أو المعكوس، وبعد ذلك نستنتج منها القرار والخطوة (النقلة) الإستراتيجية على رقعة شطرنج الأحداث، وبالها من أحداث وخاصة إذا ما كانت تسوي نتائجها بالنار والدم[١٢٤]، أي أنه سيتم الاستعاضة عن خوض الحروب بطريقة المواجهة المباشرة، لأن نسبة المواليد في الغرب الأوروبي والأمريكي، أقل بنسبة كبيرة قد تصل إلى الثلث، وهذا ما أدى إلى عدم وجود فائض من الأفراد لتمويل الجيوش بالقوى البشرية (الجيوايكونوميكا وتُعرف بجيوبولتيكا العولمة)[١٢٥] ومن ثم سيكون شن الحروب أكثر صعوبة، ولذلك ثمة حاجة ماسة إلى طرق أخرى مبتكرة، مثل إذكاء نار الخلافات والتشرذمات بين المجتمعات كالحروب على الهوية مثلاً، والتباينات الثقافية والعرقية والمذهبية وما شابه ذلك[١٢٦]، (لاحظ المشكلة المعقدة والحل البسيط).

**الاستدلال التاريخي والقياس الإستراتيجي عند لوتفاك:**

مثال (١) : استطاع سيموثتكليس (٥٢٤-٤٥٩ ق.م) خداع إكسرسيس (حاكم بلاد فارس من ٤٨٥ – ٤٦٥ ق.م)، وهزيمته في معركة سلاميس البحرية عام ٤٨٣ ق.م، وذلك عن طريق جر الأسطول الفارسي الضخم إلى ممر بحري ضيق، لا تصلح فيه أبدًا أعمال المناورة، فتم تحطيم الأسطول الفارسي المهاجم لبلاد اليونان، ومن ثم فقد الفرس وسيلتهم الأساسية للتموين ونقل الجنود[١٢٧].

وإذا تأملنا بعمق التكتيك الذي استعملته القوى الغربية الثلاث الكبرى (إنجلترا وفرنسا وروسيا) ضد الأسطول المصري التركي في موقعة نوارين (نفارين) البحرية ١٨٢٧م، سنجد أنه يكاد يتطابق تمامًا مع خطة معركة سلاميس وتكتيكها؛ إذ أن الدول الثلاث عبر إجراءات محددة استدرجت الأسطول المصري والأسطول التركي وأدخلت كلاً منهما في لسان (خليج) نوارين

البحري، وأغلقت مخرجه على البحر المتوسط، وكان عرض هذا المخرج لا يتجاوز الكيلومترين، وبالتالي فقد الأسطول المصري / التركي القدرة على المناورة والحركة، ولم ينهزم جيش محمد على[*] (١٧٦١-١٨٤٨م) بقيادة ابنه إبراهيم باشا (١٧٨٩-١٨٤٨م) في المورة (اليونان)، بل تعدى الأمر حتى صارت هذه المعركة المشئومة بداية النهاية لإمبراطورية مصر بقيادة والي مصر محمد على آنذاك[١٢٨].

ولذلك يمكننا القول : إن معركة سلاميس البحرية تكررت بنفس الأسلوب في معركة نوارين، وإن ذلك ليفسر لنا لماذا يتخذ قواد الغرب من التاريخ زادًا معرفيًا لهم؟

ويمكن صياغة ما حدث في الموقعتان (سلاميس، نوارين) على شكل قياس شرطي كالآتي :

أ- المقدمة الأولى : الأسطول الذي يفقد قدرته على حرية الحركة والمناورة، يكون عرضة للهزيمة.

ب- المقدمة الثانية : الأسطول الفارسي في (سلاميس) والمصري التركي في (نوارين)، فقدا قدرتهما على المناورة والمرونة؛ ومن ثم فقدا حرية الحركة.

ج- النتيجة : هزيمة الأسطول الفارسي والمصري/ التركي أصبحت محتومة.

مثال (٢) : إستراتيجية الأرض المحروقة التي ابتدعها الجنرال الروسي كوتوزوف (١٧٤٥-١٨١٣م)، "والذي أمر بإحراق موسكو، بعد تأكده من حتمية سقوطها في يد نابليون بونابرت، حتى لا يجد قائد فرنسا ما يسد رمق جيوشه أو أي شئ يستفيد به في برد موسكو وشتائها المهلك، فكان هذا القرار الإستراتيجي العجيب سببًا في هزيمة نابليون وبداية النهاية لقوة فرنسا النابليونية"[١٢٩]، فلم يجدوا ولا حتى ملجأً للسكن والإقامة، فاضطروا إلى تناول لحوم خيولهم ليسدوا رمقهم، وبعد ذلك تراجع نابليون القهقري إلى الوراء؛ بعد أن فقد ثلاثة أرباع جيشه أو يزيد.

وثمة ملاحظة تدل دلالة قاطعة على أن كوتوزوف لم يكن هو مبتدع هذه الإستراتيجية العجيبة، فلقد ذكر ميكافيلي ولوتفاك : "حينما حاصر الرومان نابيدوس – حاكم إسبرطة من ٢٠٧ – ١٩٢ ق.م، قُتل عام ١٩٢ ق.م –، قام بإشعال النار في جزء من مدينته، لكي يمنع الرومان الذين حاولوا النفاذ إليها، وأنه عن طريق ذلك اللهب لم يمنعهم فقط من العبور، بل إنه دفعهم خارجها"[١٣٠].

مثال (٣) : عبور هانيبال المدهش لجبال الألب، واختياره للطريق الأصعب، والذي مكنه من مفاجأة خصومه الرومان، وبالرغم من نُصح كثير من قادته له بأن هذا العبور بكل الحسابات يبدو مستحيلاً، ومع ذلك فعلها هانيبال[١٣١]، وبعد ذلك بحوالي واحد وعشرين قرنًا اقتفى نابليون (١٧٦٨-١٨٢٢م) أثر هانيبال سالكا نفس الدروب والمسالك التي سلكها

هانيبال فوق قمم جبال الألب – ممر القديس سان برنار العظيم Great St Berrnard Pass – والذي مكنه من الوصول إلى وجهته بأسرع ما يمكن، وبعد خمسة أيام اجتازوا جبال الألب، ثم فوجئ به الأعداء في إيطاليا وانتصر على النسماويين في معركة مارنجو الشهيرة في ١٤ يوليو ١٨٠٠م(١٣٢).

## القياس الشرطي الخاطئ وتجلياته في إحدى الوقائع الحربية المتفردة :

الواقعة التاريخية :

يورد لوتفاك وقائع معركة غريبة جدًا، هي بحق قطعة من الفن الحربي في كيفية استخدام التفكير العبقري (الهورستيكي) للبحث عن حل في ظل موقف غاية في التعقيد(١٣٣)، أوشكت إحدى الدويلات الصغيرة على الاستسلام أمام قوة عاتية وجيش عرمرم كامل العُدة والعتاد، فجمع حاكم هذه الدويلة الصغيرة ألف ثور، وكساها بقطع من الحرير الأحمر، وقام بطلاء أبدانها مثل التنانين بخطوط ملونة، وثبت على قرونها مناجل (شفرات حادة)، وقام بربط نباتات عشبية جافة في ذيول تلك الثيران؛ بعد أن غمسها في النفط، ولأنهم كانوا في معسكر على تل مرتفع، قاموا بإطلاق هذه الثيران في وقت متأخر من الليل بعد إشعال النار في النباتات الجافة المثبتة في ذيول الثيران (لاحظ أن هذه النيران قامت بدور المصابيح للإرشاد عن جنود الجيش المعادي)، وبالطبع أحدث ذلك فزعًا هائلاً للألف ثور بتأثير النيران الحارقة لأجسادها؛ وصاحب ذلك إحداث ضجة هائلة بقرع الطبول وكل ما هو معدني بصوت يصم الآذان، وبمواكبة اندفاع الثيران ناحية جيش الأعداء الضخم، هجم عليهم خمسة آلاف جندي فقط، من الدويلة المدافعة، وظن المهاجمون بأن هذه الثيران شياطين قد اندفعت عليهم لاستئصال شأفتهم، لأن الجيش المدافع سرب لهم خبرًا يقول : بأنهم لن ينجحوا في محاربة الغيلان والشياطين(١٣٤)، ومن ثم ولوا هاربين لا يلوون على شيء، ظنًا منهم بأن هذه الثيران المندفعة ما هي إلا شياطين تم استحضارها بطريقة ما، والعجيب أن الخمسة آلاف مقاتل استطاعوا مطاردة ما يفوق على أكثر من مائة ألف مقاتل من الجيش المهاجم، وأعملوا فيهم الذبح والقتل، وغرق الباقي في نهر عميق اعترض طريقهم أثناء الفرار والهروب(١٣٥).

التفسير المنطقي :

لقد تم تطبيق القياس الشرطي بصورة خاطئة، لأن الخبر الذي تم تسريبه، هو الاستعانة بمردة الجن في القتال، وما شاهده وعاينه الجنود جعلهم بطريقة شرطية خاطئة يتأكدون من صدق هذا الخبر، وكل ذلك يحدث في الذهن بطريقة آلية في غاية السرعة، وبالطبع استغل الجيش المدافع حالة الشلل الفكري التام للجيش المهاجم وباغتوهم؛ فنتج عن ذلك إبادتهم

بطريقة قلما يجود الفن العسكري بمثلها[١٣٦].

ولا نريد الإسهاب في الموضوع أكثر من ذلك، ولعل الحكمة التي يمكن استخلاصها ماثلة في الرأي القائل : "إن أغرب شئ يتعلق بالإمبرطورية البريطانية، هو أن جزيرة صغيرة وهي الجزيرة البريطانية، وجيش صغير كجيشها، لا يجود إلا بجزء بسيط من قواته، وبالرغم من ذلك فلقد نجحت طوال قرنين في إدارة بلدان واسعة كثيفة السكان؛ في أركان المعمورة الأربعة (الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس)، كان هذا العمل مأثرة تدعو للإعجاب، وأكبر خدعة في التاريخ"[١٣٧]. وبعد ذلك تتغير موازين القوى وتفقد بريطانيا القدرة على "المحافظة على التعادل بين القوة والفكر الإستراتيجي"[١٣٨]، فتتفكك تلك الإمبراطورية وتتلاشى، فلقد بُنيت هذه الإمبراطورية من خلال إستراتيجية ناجعة، وانهارت أيضًا لعدم نجاعة الإستراتيجية في القدرة على التعامل مع التحديات المستجدة، ومن هنا يصدق قول مولتكة (١٨٠٠-١٨٩١م) – قائد ألماني وإستراتيجي خبير – "الإستراتيجية هي فن التدبر تحت وطأة أصعب الظروف"[١٣٩].

ووفقًا لما سبق فإنه يمكننا القول : إذا كان قرار الطبيب ينقذ حياة مريض أو عديد من المرضى، وبخطئه يتسبب في إزهاق روح أو أكثر، فإن القرار الإستراتيجي؛ قد يتسبب بإحياء أمة من الأمم وإخراجها إلى حيز الوجود، وأحيانًا يساعد هذا القرار في إنقاذها من أتون النار، أو يكون وبالاً عليها، ويتسبب في محوها من التاريخ محوًا.

ففي الإستراتيجية شتان شتان بين من يعرف – المعرفة قوة (قدرة)–، وبين من لا يعرف. فلربما كانت هذه هي البداية الصحيحة لتغيير واقعنا العربي المأزوم.

فالإستراتيجية قبل أن تكون مجموعة من المراحل الخططية، كانت مادتها الخام معرفة ابستمولوجية (معرفة + خطة/ منهج)، تستهدف حل إشكالية من الإشكاليات واقتناص هدف محدد تم تحديده سلفًا، وهنا فقط تصدق المقولة التي تقرر "ويلٌ لمن يعي ويفهم، ممن هم في خِصام وقطيعة مع العقل ولا علاقة لهم به من الأساس"[١٤٠]. وباختصار فإن ما نصبوا إليه ونرجوه؛ هو التحصل على "إستراتيجية الفهم"[١٤١].

## خاتمة عامة للبحث ونتائجه

من خلال الفحص الدقيق والقراءة المتأنية تجدر الإشارة إلى وجود علاقة وطيدة ترقى إلى التماهي بين الاستدلال المنطقي بوصفه جوهر التفكير الفلسفي وتطبيقه على وقائع التاريخ وبين التنظير والفكر الإستراتيجي، وانضواء هذين اللونين الفكريين تحت مظلة العقلانية برحابتها وشموليتها وموسوعيتها، ولذلك يمكننا الحصول على عدة نتائج هي:

١- ضرورة تفهم أن المنطق العلمي الاستدلالي (الفلسفي) في التفكير هو خطة وإستراتيجية في الأساس لانتزاع الحقائق الصحيحة، ولذا يمكننا القول: إن الإستراتيجية بوصفها فكرًا خططيًا منظمًا ومنضبطًا، هي منطق علمي استنباطي لانتزاع الأهداف نزعًا- يشترط توفر الإرادة والتصميم – وذلك من خلال رؤية يتم صياغتها وفقًا للإمكانيات المتاحة، والمصاعب والإشكاليات التي تعترضنا (الواقعية والموضوعية)، وعلى هذا يمكن الإقرار بكل أريحية: إن المنطق الفلسفي الاستدلالي، والتفكير الخططي الإستراتيجي. وجهان لعملة واحدة، ولا يمكن البتة تخيل أدنى إنفصال بينهما.

٢- تعتبر هذه المحاولة البحثية متممة ومكملة لبحث سابق عنوانه : "المنطق الهورستيكي بوصفه تقنية لانتزاع الحل : نشأة الابتكار من الفكرة إلى التطبيق". واستهدف ذلك البحث المقاربة بين المنطق الهورستيكي (منطق البحث عن الحل) بوصفه تقنية منهجية تحاول الظفر بحلول بسيطة وناجعة لمشكلات مزمنة ومعقدة غاية التعقيد، وتم النظر إليه على أنه أشبه ما يكون بالمعركة الحربية تدور رحاها بين الباحث عن الحقيقة والصواب، وبين المجهول المتخندق داخل حصن حصين، ومحاولة اصطياده واقتناصه بفعل خطة (إستراتيجية) منهجية محكمة.

٣- استخدم ميكافيلي ولوتفاك الأدوات المنهجية في إرساء قواعد السياسة والإستراتيجية وفهمها، وخاصة تحليل الوقائع التاريخية، ولذلك تجلت الأسس المنهجية بوضوح عندهما في هذه الأدوات مثل الملاحظة، التجربة، الاستقراء، الفرض، الاستدلال (الاستنباط)، التعميم، حساب الاحتمالات، الحدس (البصيرة)؛ وصولاً إلى التنبؤ (الاستشراف الإستراتيجي) بوصفة ذروة المنهجية العملية والإستراتيجية، وذلك حتى لا تدهمنا الأحداث ونُصَابْ بالشلل الإستراتيجي، فذلك فقط مرهون بالاستعداد للمستقبل؛ وعلى هذا الأساس ينظر بعض المناطقة ومنهم فرنسيس بيكون نفسه، إلى ميكافيلي على أنه هو صاحب الفضل في إرساء قواعد المنطق العلمي وتطبيقه على

الواقع من خلال نظريته السياسية الواقعية (ما هو كائن بالفعل).

٤- ينبه ميكافيلي ولوتفاك على أهمية تسلح الإستراتيجي بالثقافة التاريخية، فلقد ساق كلٌّ منهما أمثلة لوقائع وأحداث ومعارك حربية، تكررت كما هي بالضبط، بسبب تشابه الظروف والأسباب، فمعركة سلاميس البحرية التي دارت رحاها بين الأسطول الفارسي بقيادة إكسرسيس، ضد الأسطول اليوناني بقيادة ثموستكليس، وانتصر فيها الأسطول اليوناني، بعد استدراجه للأسطول الفارسي إلى فخ، وإدخاله إلى ممر بحري ضيق (خليج سيلاميس)، يصعُب بل يستحيل فيه المناورة وحرية الحركة، و هذا ما حدث بالضبط للأسطول المصري / التركي في موقعة نوارين (نفارين) البحرية- والاشتباك مع الأسطول الإنجليزي والفرنسي والروسي، وهزيمة الأسطول المصري/ التركي بنفس الطريقة في سيلاميس، ومن ثم فإن معركة نوارين البحرية هي صورة طبق الأصل من معركة سيلاميس، ولذلك فمن الضروري عدم إغفال أهمية الاسترشاد بالمعرفة التاريخية مطلقًا، فالأمر هنا وجوبي برجماتي لا بديل عنه.

٥- انتقل ميكافيلي من مرحلة التنظير إلى مرحلة التطبيق، وخاصة في كتابه: فن الحرب، وكتاب: المطارحات. ونفس الشيء فعله لوتفاك، فلقد صاغ نظريته الإستراتيجية ذات الأساس المنطقي والمنطق العكسي الذي يقوم على افتراض نقيض ما هو مألوف ومتعارف عليه، فقولنا إذا أردنا مباغتة العدو فعلينا بالاسترخاء، وعلى المستوى المعرفي (الابستمولوجي) فمن الثابت أن الاستعداد للقتال يلزمه الجدية وعدم الاسترخاء، وذلك ما نسميه بالمعرفة المباشرة، أما في المنطق الإستراتيجي (منطق الخُلف) فالأمر جد مختلف، فالمنفعة والمصلحة تحتم علينا إقناع الخصم بعكس ما ننتوي فعله، فبما إننا نبتغي الهجوم فيجب أن نسلك سلوكًا مغايرًا لهذه النية وهي الاسترخاء الظاهري. وتظل أهم نتيجة لمنطق الخُلف هي ارتباك العدو لأنه أمام احتمالات عديدة، ولا يعرف على أي احتمال يعول، وكذا منحنا خيارات عديدة جدًا، نستطيع انتقاء ما يناسبنا منها، حسب الظروف والإمكانيات المتحققة في الواقع، ويتضح لنا التحصل على نتيجة مهمة وهي أن السياسة نفعية (برجماتية على المستوى العملي)؛ ونفس الشيء على مستوى الطرح المنهجي أيضًا، ومن ثم تصبح للسياسة والإستراتيجية طبيعة معرفية خاصة جدًا في علوم البشر.

٦- يُفرد لوتفاك موقعًا مهمًا للعبقرية الإستراتيجية من خلال القدرة على إنجاز الأهداف بأقل تكلفة ممكنة (الإستراتيجية السوقية)، وهذا يحتم علينا الاعتماد على آليات منهجية تتوائم وهذا الهدف، وهو آلية المنطق الهورستيكي بوصفه تقنية للبحث عن الحل وبلوغه بطرق مبتكرة وفي غاية اليسر، وبذلك يمكننا القول بصفة قاطعة ومحددة، بعد الإحالة إلى أكثر من واحد وتسعين مصدرًا

لميكافيلي ولوتفاك، وأكثر من واحد وخمسين مرجعًا : "إن فن إدارة الأزمات والصراعات يسترشد بالرصيد والإرث التاريخي الضخم في أحد جوانبه لاستيعاب الأسباب التي أدت إلى انتصار طرف ما وهزيمة الآخر في صراع محدد بذاته".

٧- اعتمد ميكافيلي على الأدوات المنهجية البسيطة (القياس بجناحيه الاستقراء والاستنباط)، وأضاف منهجية حساب الاحتمالات، بينما اعتمد لوتفاك على تقانات منطق الخُلف، والقياس الشرطي الخاطئ خصوصًا؛ لمنحنا خيارات عديدة وإرباك الخصم وخداعه.

٨- ثَّم وتظل نتيجة مهمة جدًا (في تقديري المحدود وأحسبها أهم نتيجة) وهي أن علماء ومفكري السياسة (ميكافيلي خصوصًا) قد أسهم في إرساء قواعد منطق التفكير العلمي وطبقه على السياسة، شأنه شأن بيكون وجاليليو الذي طبق منهجه العلمي على الفيزياء والميكانيكا، أما لوتفاك فلقد استعار تقنيات منطقية واتخاذها تكأة لرؤيته الإستراتيجية، ومن هنا نصل إلى القول الفصل : لَمْ ولَنْ توجد رؤية إستراتيجية صحيحة بدون امتلاك منهجية علمية صحيحة، فما أحوجنا في عالمنا العربي (الذي يحاول تحرير تاريخه الأسير وترميم جغرافيته المتصدعة) إلى حتمية الإقرار بذلك وتفهمه.

والثابت في الإستراتيجية الذي لا يرقى إليه شك هو أن إرادة البشر وتصميمهم (الروح المعنوية والإيمان بالهدف) هي الركن الركين الذي لا يمكن تجاهله في أي تنظير إستراتيجي، وبما أن الحاجة هي أم الاختراع، فإن العبقرية الإستراتيجية وُجدت حيث الإرادة، فالإرادة هي الملهم لبلوغ الحل (الهدف). ولذلك يكون السؤال هو: كيف يحتفظ البشر بإرادتهم تحت وطأة أعتى الظروف وأصعبها؟ ويكون ذلك في المقدور والإمكان فقط من خلال مخطط له بُعدان متكاملان الأول: علمي منهجي. والثاني: إستراتيجي خططي.

٩- استفاد كثير من المفكرين والساسة والفلاسفة من ميكافيلي وأفكاره مثل بيكون، وليبنتز، وتشرشل ...، وغيرهم. وهذا يشي بأهمية أطروحاته في الثقافة الغربية، وخاصة كتاب : المطارحات.

١٠- ويمكن استخلاص المنهج الإستراتيجي في هذه الدراسة على النحو الآتي : الاعتماد على المنهجية المنطقية وأدواتها بوصفها قدرة على التحليل والمقارنة واستنتاج القواعد العامة والأحكام من الوقائع التاريخية بأيسر الطرق وأسهلها، من خلال تبسيط المعقد بعد سَبْر الواقع، ومن ثم فإن القدرة على الفهم تؤدي بالضرورة إلى صياغة الأسلوب والخطة (الرؤية الإستراتيجية الملائمة).

## هوامش الدراسة

(*) مقولة تشرشل (الحائز على جائزة نوبل في الآداب ١٩٥٣م)؛ المثقف ثقافة تاريخية عميقة منقولة بحرفيتها من مطارحات ميكافيلي فيقرر "يقول الحكماء وقولهم هذا لا يخلو من التعقل والأساس (المنهجي) : إن من يريد التكهن بالمستقبل فلابد أن يكون عليمًا (خبيرًا) بأحداث الماضي". **انظر ميكافيلي – المطارحات (عن الكتب العشرة الأولى لتيتوس ليفي)** – ترجمة د. خيري حماد – دار الآفاق الجديدة – ط٣ – بيروت ١٩٨٢م – ص٧٥١.

(١) **وولفجانج كريجر – تاريخ المخابرات من الفراعنة حتى وكالة الأمن القومي الأمريكي – ترجمة د. عدنان عباس على –** سلسلة عالم المعرفة – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ٢٠١٨م – ص١٩.

(**) عمل مستشاراً للبرلمان الروسي من ١٩٩٨ إلى ٢٠٠٣م وهو اليوم رئيس خبراء الجيوبولتيكا التابع للمجلس الاستشاري المتخصص بشئون الأمن القومي التابع لرئاسة مجلس النواب الروسي، ويقود الآن حركة أوراسيا العالمية، وله مؤلفات من بينها فلسفة السياسة، تطور الأسس الفكرية للعلوم، المؤمرات، مشروع أوراسيا، الرؤية الأوراسية، أسس الأوراسية، أسس الجيوبولتيكا... وفيه تحليل لأهمية جيوبولتيكيا العالم العربي والشرق الأوسط وأهميته في الصراعات الدولية، وفي هذا الكتاب ثمة محاولة تفسيرية لمِا يحدث في العالم العربي الآن وانعكاساته على توازن القوى في الإستراتيجية العالمية.

(٢) **الكسندر دوغين – أسس الجيوبولتيكا مستقبل روسيا الجيوبولتيكي** – ترجمة وتقديم د. عماد حاتم – دار الكتاب الجديد – بيروت ٢٠٠٤م – ص المقدمة.

(٣) **نابليون بونابرت – مبادئ الحرب** – ترجمة هشام البطل – مكتبة النافذة – القاهرة ٢٠١١م – ص٣٧.

(٤) **ميكافيلي – الأمير (تاريخ الإمارات الغربية في العصور الوسطى)** – ترجمة د. محمد لطفي جمعة – دار الحداثة – ط٢ – بيروت ١٩٨٥م – الفصل الثالث – ص ص١٨٩، ١٩٠.

(٥) **جوزيف هنروتين وآخرون – حرب وإستراتيجية (مناهج ومفاهيم) – الجزء الأول** – ترجمة د. أيمن منير – سلسلة عالم المعرفة رقم ٤٧٢ – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ٢٠١٩م – ص١٧. وانظر كذلك: Lawrence Freedman – Strategy A History – Oxford, University 2000- P, 9.

(6) Randall **(G) Bowdish –Militiary Strategy : Theory and Conccepts** – University of Nebraska Lincoln, U.S.A. 2013 – PP, 7 : 13 "Chapter 2, Theory Building and The Philosopy of Science".

(٧) **ليونيل روبي – فن الإقناع (المرشد للتفكير المنطقي) – ترجمة د. محمد على العريان** – مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر – القاهرة/ نيويورك ١٩٦٥م – ص٣٢٢.

(*) يقول أبو العلاء المعري : إذا قُرن الظن المصيب من الفتى ... بتجربة جاء بعلم غيوب

ويقصد بالظن المصيب الحدس (الفراسة)؛ الذي يؤدي إلى اليقين الناشئ عن التدبر، والتجربة هي مجموعة الخبرات المتراكمة، وبافتراض الجمع بين العبقرية والخبرات الحياتية يصبح للإنسان القدرة على الإتيان بعلم الغيب؛ ويعني إمكانية الاستشراف والتوقع المستقبلي. انظر – **أبو العلاء المعري – لزوم ما لا يلزم – الجزء الأول** – شرح نديم عدى – دار طلاس – ط٢ – سوريا ١٩٨٨م – ص١٧٥.

(٨) **أرنست كاسيرر – الدولة والأسطورة** – ترجمة د. أحمد حمدي محمود – مراجعة د. أحمد خاكي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية – القاهرة ١٩٧٥م – ص٢١٩م.

(٩) **إداورد ميد إيرل – رواد الإستراتيجية الحديثة – الجزء الأول** – ترجمة محمد عبد الفتاح إبراهيم – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ١٩٥٤م – ص١٨٢.

(*) الفن بمفهوم مناهج البحث يعني الموهبة والملكات والقدرات الخاصة أثناء الانتقال من التنظير للتطبيق، ومعروف أن هناك علومًا تجمع بين كونها علمًا وفنًا في الوقت نفسه، فالجراحة والإستراتيجية مثلاً يجمعان العلم والفن، بينما الرياضيات والفيزياء علمان فقط، فالجراحة لابد فيها من معرفة خارطة الجسم التشريحية بدقة متناهية، لمعرفة أماكن الشرايين والأوردة والأعصاب؛ لتفاديها أثناء الجراحة، بينما الأسلوب الجراحي (إجراء العمليات) يختلف من طبيب لآخر، بسبب تباين القدرات والملكات، والشئ نفسه بالنسبة للإستراتيجية، فقد يختلف الأسلوب والأداء أثناء الممارسة.

(١٠) **المرجع السابق – الجزء الأول** – ص٧٤.

(**) لبيكون مقالةً ضافية في السياسة والإستراتيجية عنوانها : الحرب الأسبانية. ومن خلالها حلل وقائع معركة الأرمادا البحرية الشهيرة بين الأسطول الأسباني الضخم (الأرمادا) والأسطول الإنجليزي المحدود، ودارت أحداث هذه المعركة في مايو ١٥٨٨م؛ فلقد تجرأت أسبانيا على مهاجمة إنجلترا في عقر دارها، ولكنها – أي أسبانيا – مُنيت بهزيمة ساحقة ماحقة، فكانت بحق بداية نهايتها كقوة عظمى عالمية أولى، ومن يتصفح تاريخ هذه الموقعة يُدرك كيف تغلب الأسطول الإنجليزي الأضعف بكثير على الأسطول الأسباني بتكتيك وإستراتيجية اعتمدت أسلوب الحل البسيط لهذه المشكلة المعقدة، وهي مهاجمة أسبانيا لإنجلترا في عقر دارها بأسطول ضخم يتفوق على الأسطول الإنجليزي بدرجة كبيرة، والأعجب هو الخسائر المحدودة جدًا لإنجلترا (تكاد لا تكون شيئًا مذكورًا) ومنذ ذلك التاريخ سيطر الأسطول الإنجليزي على الطرق الملاحية في العالم لمدة جاوزت الثلاث قرون ونصف القرن. انظر Bacon(F) – Essays – With Introduction by James Edward – London 1916 مقال : الحرب الأسبانية وتحطيم الأرمادا، وكذلك مقال : عظمة الممالك والدول الذي يقول فيه "إن الذي يملك البحر، يملك (يسيطر) على الموقف".

(١١) **انظر د. أحمد عزب أحمد – المنطق الهورستيكي بوصفة تقنية لانتزاع الحل نشأة الابتكار من الفكرة إلى التطبيق** – المجلة العلمية لكلية الآداب بجامعة حلوان – العدد ٤٤ / ٢٠١٧م.

(١٢) **انظر المرجع السابق** – ص المقدمة. والمنطق الهورستيكي لون متفرد من الفلسفة ومناهج البحث، يهدف إلى توفير تقانات للحصول على حلول بسيطة لمشكلات في غاية التعقيد، وكذا القدرة الإبداعية على الربط بين موضوعات لا يبدو للإنسان العادي أن ثمة رابط بينها، ومثال على ذلك خدعة (حصان طروادة) بوصفه حلاً عبقريًا للإشكالية العويصة الخاصة بكيفية اجتياز أسوار طروادة وحصونها المنيعة، والتي استعصت على الجيش المهاجم لمدة زمنية شارفت على عقد من الزمن تقريبًا.

(١٣) **د. أحمد عزب أحمد – إستراتيجية د. أنور عبد الملك تضبط البوصلة للاتجاه شرقًا** – ص٩٢.

وانظر كذلك .**Gordon HullFish – Reflective Thinking** – New York 1961 – P,69.

(١٤) **المرجع السابق –** ص٩٢.

(١٥) **انظر جورج كاشمان – لماذا تنشب الحروب؟** – ترجمة د. أحمد حمدي محمود – الجزء الأول – سلسلة الألف كتاب الثانية – رقم٢٤٢ – الهيئة المصرية العام للكتاب – ط٢ – القاهرة ٢٠٠٧م – انظر الفصل الأول النظرية التجريبية وأسباب الحرب.

(١٦) **انظر هوج دوجوفنيل – الاستشراف والسياسة** – دورية استشراف السنوية – الدوحة ٢٠١٦م – ص ص١٤ : ١٦.

(١٧) **د. أحمد عزب أحمد – إستراتيجية أنور عبد الملك تضبط البوصلة للاتجاه شرقًا** – دورية إبداع – العدد الثالث والعشرون – القاهرة ٢٠١١م، ص ص٩٠، ٩١. وانظر كذلك :

**Moustakas, Clark – Phenomenolgical Research Methods** – New York 1994 – P, 55.

(*) لعلم الرياضيات سبب مباشر في هزيمة النازية والفاشية واليابان (دول المحور) في الحرب العالمية الثانية، وذلك لدورها الحاسم في فك الشفرة اليابانية والألمانية؛ ومعلوم أن مونتجمري (١٨٨٧–١٩٧٦م) أثناء استعداده لقتال روميل (١٨٩١ – ١٩٤٤م) في معركة العلمين الفاصلة للسيطرة على جبهة شمال أفريقيا والبحرالمتوسط وبالطبع قناة السويس؛ طلب الاستعانة بأستاذ مرموق في الرياضيات (حساب الاحتمالات تحديدًا) – من الجامعات البريطانية لحساب السيناريوهات المختلفة الممكنة للمعركة. نقلاً عن د. أحمد سعيد الدمرداش – **رسالة البيروني : استخراج الأوتار في الدائرة بخواص الخط المنحنى** – الدار المصرية للتأليف والنشر – بدون تاريخ – القاهرة – ص١٥، ١٦. وانظر كذلك .Lawrence, (F) – Strategy A History - P, 96

(18) **Lawrencce, (F) – Strategy A History** – P, H.

(١٩) **جوزيف هنروتين وآخرون – حرب وإستراتيجية (مناهج ومفاهيم) – الجزء الأول** – ترجمة د. أيمن منير – ص٣٤.

(**) قوة البصيرة ترجمة مجازية للكلمة Flair، وتعني في اللغة الفرنسية (حاسة الشم)، فالقادة والساسة الذين وُهبوا هذه الحاسة هم أكثر الناس توقعًا للأحداث والتنبؤ بها. انظر **كارل فون كلاوزفيتز – في الحرب – الجزء الأول** – تعريب وترجمة أكرم ديري، الهيثم الأيوبي – دار الكتاب العربي للطبع والنشر – القاهرة ١٩٧٠م – ص٧٥.

(20) **Gordon HullFish – Reflective Thinking** – P, 73.

(٢١) انظر **ونستون تشرشل – لورانس بطل الجزيرة** – ترجمة محمد بدران، أحمد حلمي على – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – بدون تاريخ – ص ص٥، ٦.

(٢٢) نقلاً عن – **ميتشو كاكو – فيزياء المستقبل** – ترجمة د. طارق راشد عليان – مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية – الرياض ٢٠١٣م – ص٧.

(٢٣) **كتاب لورانس العرب المشهور** : "**أعمدة الحكمة السبعة**"، هو أساس وزاد فكري لكل دبلوماسي وسياسي غربي يتعامل مع المنطقة العربية ولاسيما عرب وبدو جزيرة العرب، وكل المجتمعات ذات البنية العشائرية.

(٢٤) **تشرشل – لورانس بطل الجزيرة** – ص ص٥، ٦.

(٢٥) **ميكافيلي – المطارحات** – ص ص٥٦١، ٥٦٥.

(٢٦) انظر **د. أحمد عزب أحمد – مصر في ضوء منهجية ليبنتز رؤية في منطق التكتيك –** دورية إبداع – العدد العشرون – خريف ٢٠١١م – القاهرة، ص ص١٣٤ : ١٥١.

(٢٧) **وولفجانج كريجر – تاريخ المخابرات من الفراعنة حتى وكالة الأمن القومي الأمريكي** – ترجمة د. عدنان عباس على، ص١٣١.

(٢٨) **انظر د. أحمد عزب أحمد – مصر في ضوء منهجية لبينتز رؤية في منطق التكتيك** – دورية إبداع – القاهرة ٢٠١١م – من ص١٣٤، ١٥١.

(*) ميكافيلي (مكيافيلي Niccolo Machivalli)، انتشر اسمه في دنيا الفلسفة والأخلاق والسياسة والعلوم الإنسانية انتشار النار في الهشيم، فهناك من يراه نبي علم السياسة، وهناك من يراه الشيطان الذي أراد تحطيم علم الأخلاق وضرب بها عُرض الحائط، وهناك من التمس له العذر بانشغاله فقط بالطريقة التي تساعد على كيفية إحياء إيطاليا القوية غير الممزقة، وكتابة (الأمير) من كتب البشرية الشهيرة في كل الأعصر تقريبًا، ويعتبر مؤسس علم السياسة على أسس واقعية، والفضيلة الأولى عنده هي القوة ثم القوة ولاشئ غيرها، ومن أهم مؤلفاته الأمير، وكتاب المطارحات (عن الكتب العشرة الأولى لتيتوس ليفي) الذي يُعد موسوعة في التاريخ والسياسة والدبلوماسية والإستراتيجية، وكتاب : فن الحرب، وحاول ميكافيلي تحليل الحروب السابقة عليه من خلال المصادر التاريخية وكذلك الأحداث التي عاصرها وأخيراً كتابه : تاريخ فلورنسا بوصفه مرجعًا مهمًا في التاريخ الإيطالي.

(**) إدوارد لوتفاك (لوتواك) (ولد ١٩٤٢م) من منظري الإستراتيجية البارزين في الغرب والولايات المتحدة الأمريكية، اهتم بالتنظير الإستراتيجي المستند إلى المنهجية المنطقية الاستدلالية (المنطق العكسي تحديدًا) ومن أشهر مؤلفاته : ١–الإستراتيجية : منطق الحرب والسلام، ٢–الإستراتيجية العليا للدولة الرومانية في القرون الثلاثة الأولى، وتعتبر نظريته استكمالاً لمنهجية ليدل هارت في إستراتيجية الاقتراب غير المباشر.

(٢٩) **ميكافيلي – المطارحات** – ترجمة د. خيري حماد – ص دراسة لسلي ووكر.

(*) تيتوس (توتو) ليفي، أحد أهم المؤرخين الرومانيين على الإطلاق، ولد في بادوا بإيطاليا؛ وقد اضطلع بكتابة تاريخ روما منذ نشأتها حتى العصر الذي عاش به، وهو عصر أغسطس قيصر؛ ويُعد كتابة في التاريخ أحد الأعمدة

الأساسية لفهم أحداث ووقائع الدولة الرومانية، وأصبح أحد أهم المصادر الذي ينقل عنه الجميع، ولكنه لم يصل إلينا كاملا إلا في القرن السابع عشر، وعُثر على الأجزاء المفقودة منه في مكتبة الفاتيكان، ثم على أجزاء أخرى منه في مصر عام ١٩٠٠م، ويتناول الكتاب تاريخ الرومان منذ تأسيس مدينة روما عام ٧٥٣ ق.م، وهو مكتوب باللغة اللاتينية القديمة في صورة نظم شعري تناول فيه أدق تفاصيل الحياة الرومانية.

(٣٠) **انظر ميكافيلي – المطارحات –** ترجمة د. خيري حماد – ص الدراسة.

(*) استفادت المنهجية السياسية الغربية من التاريخ الروماني، وكذا الحروب البلوبونيزية (البونية)، واستفادت كذلك من المدرسة الشرقية من خلال الاحتكاك في الحروب الدائرة بين الرومان والفرس، على اعتبار أنهما قطبا العالم في ذلك الزمان – ومعروف أن المدرسة اليونانية/الرومانية كانت تقوم على الواقعية –، أما المدرسة الشرقية بقيادة فارس كانت تهتم بالمثالية الأخلاقية إلى حد ما، وهذا يفسر لنا، اختلاف مفهوم علوم السياسة والإستراتيجية وفهم التاريخ بين الغرب اليوناني/ الروماني، وبين الشرق الفارسي/ البابلي/ الفرعوني. ومن ثم فإنه لا يوجد إستراتيجي واحد في الغرب إلا وله اهتمام بالتاريخ، وخاصة تاريخ الدولة الرومانية التي استمرت حوالي عشرة قرون، باعتباره نقطة البدء لهذا التاريخ (ومن قبله التاريخ اليوناني) للحضارة الغربية. ولمعرفة عدد سكان أثينا أثناء الحرب البلوبونيزية انظر : **Jones (A.H) – Athenian Democracy – University of Cambridge, 1958** – P, 193.

(**) البرهان غير المباشر (برهان الخُلف) هو تقنية منطقية، استعارتها علوم الرياضيات، وخاصة الهندسة، وذلك حينما حاول الرياضيون منذ جيرلاموساكيري في القرن السادس عشر البرهان بطريقة غير مباشرة على صحة المصادرة الخامسة لإقليدس (إشكالية التوازي)، بمحاولة إثبات أن عكسها غير صحيح، وذلك لإستحالة البرهان بالطريقة المستقيمة المباشرة على الفرض الأصلي للمصادرة بالإيجاب أو بالسلب، وبعد ذلك بقرون استعار لوتفاك هذه التقنية المنهجية في منطقه الإستراتيجي.

(*) كتاب في (فن الحرب) لميكافيلي، محاولة عملية تطبيقية لإلقاء الضوء على تكتيكات الصراع والصدام العسكري وخططه، في التاريخ الروماني، وتاريخ أوروبا الذي عاصره ميكافيلي، ويؤخذ عليه إهماله لدور المدفعية البادئ بالظهور في ذلك الوقت.

(٣١) **انظر المرجع السابق – الجزء الثالث** – ص٢٦.

(**) بخصوص الترتيب الزمني لتاريخ اليونان، تم تقسيم هذا التاريخ إلى ١٨ عصر، بداية من عام ٢٠٠٠ ق.م إلى أن غدت ولاية رومانية في عام ١٤٦ ق.م، وظلت اليونان تحت حكم الرومان حتى عام ١٤٥٣م، حتى سقوط القسطنطينية (إسطنبول) عاصمة الدولة الرومانية الشرقية في يد الأتراك بقيادة السلطان محمد الفاتح. **لمعرفة عصور التاريخ اليوناني بالتفصيل (١٨ عصر) انظر دورية المعرفة – ترجمة د. بطرس بطرس غالي، د. حسين فوزي، وآخرون – العدد ٣٤ – القاهرة ١٩٧١م – ص٥٣٠، ٥٣١.**

(٣٢) **ميكافيلي – المطارحات** – ص٢٩٥.

(٣٣) **نفس المصدر** – ص٢٩٦.

(٣٤) **نفس المصدر** – ص٢٩٥.

(٣٥) **نفس المصدر** – ص٢٢٩.

(٣٦) **ميكافيلي – الأمير** – ص١٣٩.

(٣٧) **المصدر السابق** – ص ص١٣٦، ١٣٧.

(*) يخيل إلينا أن ميكافيلي قد قرأ الكتاب الشهير لفيلسوف الحرب الصيني، صن توزو (القرن الخامس ق.م تقريبًا)، والخاص بتعاليمه لمعرفة مسرح العمليات (مكان المعركة) ... وكذا، الدروب المستخدمة والمسالك لحركة الجيش، وكل العوائق الطبوغرافية، لأن الجيش الذي يجهل طبيعة أرض المعركة، تكون فرصته في إحراز النصر محدودة جدًا.

(٣٨) **المصدر السابق** – ص١٣٧.

(٣٩) **المصدر السابق** – ص١٣٨.

(**) آخيل هو أحد أبطال حرب طروادة ونشأت حوله الأساطير، ومعروف أنه كان أسرع عداء يوناني في الدورات الأولمبية، وأقوى المحاربين، قُتل في الحرب الطروادية الضارية، بعدما عرفوا نقطة ضعفه، هكذا تروي الأسطورة، وهي عقب (كعب القدم) أخيل، فتم رميه بسهم في عقبه فأرداه قتيلاً من فوره فيشار إلى اكتشاف الثغرة في العلم العسكري (عقب / كعب أخيل).

(40) **Lawrence Freedman – Strategy A History**, P, 106.

(٤١) **ميكافيلي – فن الحرب** – ترجمة وتعليق هشام البطل – مكتبة النافذة – القاهرة ٢٠١٠م – ص١٥١.

(٤٢) **ميكافيلي – المطارحات** – ص٢٤٣.

(٤٣) **المصدر السابق** – ص٣٣٦.

(٤٤) **المصدر السابق – ص٢٥٤.**

(٤٥) **ميكافيليي – المطارحات –** ص٢٦٩.

(٤٦) **المصدر السابق –** ص٢٦٢.

(٤٧) **المصدر السابق –** ص٢٦٤.

(٤٨) **الكسندر دوغين – أسس الجيوبولوتيكا مستقبل روسيا الجيوبولتيكي – ص ص١٧٠، ١٧١.**

(٤٩) **المصدر السابق –** ص٢٨٤.

(٥٠) **المصدر السابق – ص**٢٨٦.

(٥١) **ميكافيلي – المطارحات –** ص٢٦٩.

(٥٢) **انظر أرنست كاسيرر، الدولة والأسطورة** – ترجمة د. أحمد حمدي محمود – مراجعة د. أحمد خاكي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية – القاهرة ١٩٧٥ – ص ص١٧٤، ١٧٥.

(٥٣) **المصدر السابق** – ص١٧٥.

(٥٤) **د. محمد فتحي الشنيطي – النظرية السياسية عند هيوم** – دار المعرفة – القاهرة ١٩٧٢م– ص٥٢، ٥٣.

(٥٥) المرجع السابق، ص٥٢.

(٥٦) **نقلاً عن : كرين برنتن : قصة الفكر الغربي (أفكار ورجال)** – مكتبة الأنجلو المصرية – بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر – القاهرة ١٩٦٥م – ص٤٤٤.

(57) **Bacon (F) – New Organon** – With Introduction By James Edward - London 1916 – Aphorism 97 – PP. 99, 100.

(58) Ibid – Aphorism 127 – PP. 115, 116.

(٥٩) **ميكافيلي – المطارحات** – ص٣٧٦.

(٦٠) **ليونيل روبي – فن الإقناع (المرشد للتفكير المنطقي) – ترجمة د. محمد على العريان** – ص فصل بعنوان : منطق المقامرة.

(*) الطريق (الطريقة) / المنهج (المنهجية) لهما نفس الدلالة، فمثلاً تُرجم كتاب ديكارت (١٥٩٦ – ١٦٥٠م) الشهير تحت عنوان : مقال في المنهج، وأحيانًا يُترجم : حديث الطريقة، فالمنهج أساسًا طريقة ووسيلة تقودنا نحو الهدف، فنحن ننتقل من المقدمات إلى النتائج مستخدمين طريقة أو وسيلة أو منهجية لبلوغ هذا المأرب.

(٦١) **ميكافيلي – المطارحات** – ص٢٠٧.

(٦٢) **المصدر السابق** – ص٢٠٨.

(٦٣) **مقدمة ليسلي ووكر – المصدر السابق** – ص١١٤.

(٦٤) **مقدمة ليسلي ووكر – المصدر السابق** – ص ص١١٥، ١١٦.

(٦٥) **ميكافيلي – المطارحات** – ص ص٢٠٨، ٢٠٩.

(٦٦) لاحظ أن هذه هي الفرضية الأساسية في إستراتيجية كلاوزفيتز، وينص فيها على أن : الحرب هي ممارسة للسياسة بوسائل أخرى، وما زالت هذه القاعدة هي تعريف صحيح ومفهوم كاشف لخبايا وأهداف الإستراتيجية حتى الآن.

(٦٧) **نيقولا ميكافيلي – الأمير (تاريخ الإمارات الغربية في العصور الوسطى)** – ترجمة د. محمد لطفي جمعة – ص ص٦٦، ٦٧.

(٦٨) **ميكافيلي – المطارحات** – دراسة ليسلي ووكر – تعريب خيري حماد – ص١١٧.

(٦٩) **ميكافيلي – فن الحرب** – ترجمة وتعليق هشام البطل – ص٢٠.

(٧٠) **المصدر السابق** – ص ص٢٠، ٢١.

(٧١) **المصدر السابق** – ص٢١.

(٧٢) **ميكافيلي – المطارحات** – ص١١٨.

(٧٣) **ميكافيلي – الأمير** – ص ص١٩٠، ١٩١.

(٧٤) **أرنست كاسيرر – الدولة والأسطورة** – ترجمة د. أحمد حمدي – ص٢٠٨.

(٧٥) **ميكافيلي – المطارحات**– ص ص٣٥٠، ٣٥١.

(٧٦) **أرنست كاسيرر – الدولة والأسطورة** – ص١٨٧.

(٧٧) **ميكافيلي – الأمير** – ص١٢٣.

(٧٨) **ميكافيلي – المطارحات** – ص٤٧٥.

(٧٩) **المصدر السابق** – ص٤٧٦.

(٨٠) **المصدر السابق** – ص ص٤٧٥، ٤٧٦.

وانظر كذلك **Hammond Grant – The Mind of War** – Washington 2001 – P, 41.

(٨١) **المصدر السابق** – ص ص٤٧٧، ٤٧٨.

وانظر كذلك **Hammond Grant – The Mind of War** – P, 42.

(٨٢) **المصدر السابق** – ص ص٤٧٩، ٤٨٠.

وانظر كذلك **Hammond Grant – The Mind of War** – P, 43.

(٨٣) **المصدر السابق** – ص ص ٤٨٠، ٤٨١.

وانظر كذلك **Hammond Grant – The Mind of War** – P, 44.

(84) **Liddell Hart (Sir Basil) - The Sword and The Pen** – Library of Congress Cataloging in Publication U.S.A. 1976 - P, 64.

(85) **Ibid** – PP, 65, 66.

(*) النصر البيروسي، المقصود به التكلفة الضخمة والخسائر الفادحة التي ندفعها بغية إحراز النصر، وذلك لأن الملك ابيروس (٣١٩-٢٧٢ ق.م) بعد إحرازه للنصر، في موقعه إسكالوم على الجيش الروماني في عام ٢٧٩ ق.م، إلا أنه فقد عددًا كبيرًا من قواته، وجنرالاته، وبالرغم من هزيمته للرومان، إلا أنه لم يشعر بالسعادة، ولاحظ الجميع إنه مكتئب، ولأنه الإستراتيجي المحنك، فلقد أدرك أنه غير قادر على خوض حرب ثانية، نظرًا للخسائر الرهيبة التي تكبدها في إسكالوم، وما بعدها من معارك جانبيه، وهذا النوع يُعرف بالنصر البيروسي وهو أسوأ أنواع النصر، إن لم يكن نوعًا من الخسارة في الأساس. انظر :

- **Lawrence Freedman – Strategy A History** - P, 46.

(86) **Lawrence Freedman – Strategy A History** - P, 46.

(87) **Ibid** - P, 92.

(88) **Yurit Maning – Matematic Knowledge Internal Social and Cultural Aspects** - P, 3, 4.

(*) هذه القاعدة من صياغة منظري وصائغي الخطط في الدولة الرومانية القديمة.

(**) هذه المقولة منسوبة لنابليون بونابرت، وكان خير تطبيق لها في موقعة أوسترليتز حينما واجه ثلاثة جيوش في نفس الوقت وهو الجيش النمساوي، والروسي، والألماني. وبعد أن كان في حالة دفاع كاملة، تحول إلى حالة الهجوم المفاجئ، واستطاع الانتصار في هذه الموقعة والتي تُعد بحق أعظم عبقريات نابليون الإستراتيجية، والذي حدث كان نتيجة إيمانه بالمبدأ القائل : إن من يدافع باستمرار لابد له من الهزيمة مهما كانت قوة حصونه ومنعة قلاعه، أما عبقري الإستراتيجية صن توزوا فيقول عن علاقة الدفاع بالهجوم : إنهما يتعاقبان تعاقب الليل والنهار.

([٨٩]) **جيدينكو خينتشين–المبادئ الأولية لنظرية الاحتمالات** – دار مير للطباعة والنشر–ط٢ – موسكو ١٩٧٤م– ص ص١٧، ١٨.

([٩٠]) **المرجع السابق** – ص١٨.

([91]) **Edward Luttwak - Strategy the Logic of War and Peace – Harvard University (U.S.A) 1987** – P, 9.

([92]) **Ibid -** PP, 9, 10.

([93]) **Ibid -** P, 11.

([94]) **Edward Luttwak - Strategy the Logic of War and Peace –** P, 22.

([95]) **Ibid -** PP, 6, 7.

([96]) **Ibid -** P, 7.

([97]) **Ibid -** P, 8.

([98]) **Ibid -** PP, 8, 9.

([99]) **Luttwak (E) – Strategy and History : Collected Essays** – **Volume 2** - New Brunswick - Translation Publishes hers – London 1985 – P. 24.

**وانظر كذلك: ليونيل روبي – فن الإقناع – المرشد للتفكير المنطقي – ترجمة د. محمد العريان** – ص فصل بعنوان : منطق المقامرة.

([100]) **Ibid - Luttwak (E) – Strategy and History : Collected Essays** – **Volume 2** – PP.135, 136.

([101]) **Ibid - Volume 2** – PP. 136, 137.

([102]) **Ibid - Luttwak (E) - Strategy The Logic of War and Peace** - P, 110.

([103]) **Ibid – P. 112.**

([104]) **Luttwak (E) – Strategy and History : Collected Essays** – **Volume 2** – **P. 136.**

([105]) **Ibid – P. 137.** وانظر كذلك **د. جمال حمدان – ٦ أكتوبر في الإستراتيجية العالمية** – ص١٢٥.

([106]) **Ibid – P, 117.**

(*) يظل مرجع د. جمال حمدان الخاص بتحليل معركة العبور، من بين أفضل المؤلفات قاطبة التي تناولت هذه المعركة الفريدة، ويتحدث حمدان عن مفارقات هذه المعركة الكثيرة والتي قلبت التصورات الإستراتيجية رأسًا على عقب، فيتحدث عن مفارقة عجيبة وهي : "هجوم المصريين بالدفاع، ودفاع إسرائيل بالهجوم"، انظر : **د. جمال حمدان – ٦ أكتوبر في الإستراتيجية العالمية –** دار الهلال – القاهرة ٢٠٠٠م – ص١٥٢.

([107]) **Ibid** - P, 163.

([١٠٨]) **ميكافيلي – الأمير** – ترجمة د. محمد لطفي جمعة – ص ص١٩٠، ١٩١.

([١٠٩]) **ميكافيلي – فن الحرب** – ترجمة هشام البطل – ص١٥٠.

(**) دارت أحداث هذه المعركة في ٢١ أبريل ١٥٠٢م، بين القوات الأسبانية بقيادة دي كوردوبا، في جنوب إيطاليا، وكان عدد الجيش الأسباني ثمانية آلاف جندي، وبين الجيش الفرنسي بقيادة لوي دار مانجاك الذي بلغ تعداده ٣٢٠٠٠ (اثنين وثلاثين ألفا) واحتل الأسبان موقعًا مرتفعًا حصينًا مما ساعدهم على هزيمة الفرنسيين؛ برغم تفوق عدد الجيش الفرنسي على الجيش الأسباني بنسبة ٤ : ١.

([١١٠]) **ميكافيلي – فن الحرب** – ص١٤٩ إلى ص١٥٣.

([١١١]) **المصدر السابق – الجزء الأول** – ص٨٦.

([١١٢]) **المصدر السابق – الجزء الأول** – ص٨٦.

(*) نظرية المجال الحيوي؛ تقرر أن حدود الدولة والأقليم لا ينتهي عند الحدود السياسية، ولكنه يمتد حتى يصل إلى مصالح الدولة الإستراتيجية، فمصر على سبيل المثال لا تنتهي حدودها الجنوبية عند الحدود الفاصلة بين مصر والسودان، ولكنه يمتد ليشمل دول حوض النيل التي يوجد فيها منابع النهر، ومعروف أهمية النيل بالنسبة لمصر والمصريين؛ ولذلك فإن المجال الحيوي يحدد الاحتياجات الإستراتيجية الضرورية للدولة، ولا يمكن تصور الإضرار بها، أو أن تكون عُرضة للتهديد. انظر د. أحمد عزب أحمد – إستراتيجية أنور عبد الملك تضبط البوصلة للاتجاه شرقًا – دورية إبداع – العدد الثالث والعشرون – القاهرة ٢٠١١م – ص٩٩.

([١١٣]) **ميكافيلي – المطارحات – الجزء الأول** – ص٨٦.

([١١٤]) **المصدر السابق** – ص٥٣٠.

([١١٥]) **المصدر السابق** – ص٤٦٧.

([١١٦]) **المصدر السابق** – ص٣٥٠، ٣٥١.

([١١٧]) **ميكافيلي – المطارحات** – ص٣٧٣ إلى ص٣٧٥.

([118]) **Luttwak (E) – Strategy The Logic of War and Peace** - P, 1.

([119]) **Ibid** - PP, 7, 9.

([120]) **Ibid** - PP, 199, 200.

(١٢١) **ليدل هارت – التاريخ فكرًا إستراتيجيًا** – ترجمة د. طالب حازم مشتاق – بغداد ١٩٨٨م – ص١٦.

(122) **Luttwak (E) – Strategy The Logic of War and Peace** - P, 199.

(123) **Ibid** - P, 9.

(124) **Ibid** - PP, 10, 11.

(١٢٥) **الكسندر دوغين – أسس الجيوبولتيكا مستقبل روسيا الجيوبولتيكي** – ترجمة وتقديم د. عماد حاتم – ص ص١٧٠، ١٧١، وانظر كذلك : **Lutwak (E)- Strategy and History : Collected Essay – Volume 2** – P.39.

(١٢٦) **ميشوكاكو، فيزياء المستقبل (العقل يُشكل مستقبل البشرية عام ٢١٠٠)** – ترجمة د. طارق راشد عليان – مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية – سلسلة الثقافة العلمية للجميع – كتاب العربية – سلسلة ٦٣ – الرياض ٢٠١٣م – ص٦٥٧.

(127) **Luttwak (E) – Strategy and History : Collected Essays** – **Volume** 1 - P, 39.

(*) ثمة ملاحظة أحسبها في غاية الخطورة، وهي أن طلاب البعثات العلمية المصرية، إبان عصر حكم محمد على باشا، وأبنائه من بعده، قد نقلت كافة العلوم، وخاصة ما يتصل بالجيش والتسليح، لدرجة إرسالهم لمبعوثين يتعلمون الموسيقى العسكرية، ومن ثم تم تأليف وترجمة العديد من الأعمال والمؤلفات العلمية بذات الخصوص، ولكن ما تم إهماله وعدم الالتفات إليه، العلوم التي تتصل بالإستراتيجية وفنونها؛ ولذلك لا يوجد كتاب علمي واحد تم تأليفه أو ترجمته في هذه الفترة الممتدة. ولا ندري إن كان ذلك تم بتعمد مقصود من لدن إدارات الدول التي استقبلت طلاب هذه البعثات وخاصة فرنسا وإنجلترا أم لا؟ والموضوع يحتاج إلى تدقيق ودراسة معمقة للكشف عن ملابسات هذا الخطأ الجسيم. فالإستراتيجية في عموميتها هي الركن الركين والأرومة لعملية إدارة الصراعات وفنونها.

(١٢٨) انظر **إبراهيم باشا (ذكري البطل الفاتح) – مجموعة أبحاث قدم لها د. السنهوري باشا، د. محمد شفيق غربال – الجمعية المصرية للدراسات التاريخية (مجموعة أبحاث بمناسبة انقضاء مائة عام على وفاته)** – دار الكتب المصرية – القاهرة ١٩٤٨م– ص ص٦٠ إلى ٦٣، ص ص٢٤٢، ٢٧٢.

(129) **Luttwak (E) - Strategy and History** - P, 335.

وانظر كذلك **د. أحمد عزب أحمد، مصر في ضوء منهجية ليبنتز رؤية في منطق التكتيك** – دورية إبداع – العدد العشرون – القاهرة ٢٠١١م – ص١٤١.

(١٣٠) **انظر ميكافيلي – فن الحرب** – ترجمة هشام البطل – ص٢٠١م.

(131) **Luttwak, (E), The Grand Strategy of The Roman Empire From the First Century And to The third - Baltimore** - Johns Hopkins University - Press 1976 - P, 13.

ولمعرفة كيفية عبور هانيبال جبال الألب بالتفصيل يراجع كتاب **ميكافيلي – فن الحرب** – ترجمة وتعليق هشام البطل – ص ص١٨٣ إلى ١٨٧.

([132]) **Sir Basil Liddell Hart – The Sword and the Pen** - PP, 126, 130.

([133]) **Luttwak, (E), The Grand Strategy of The Roman Empire From the First Century And to the Third –** P. 17.

([134]) **Ibid –** PP. 18, 19.

([135]) **Ibid** – PP. 20, 21.

([136]) **Luttwak, (E)– Strategy The Logic of War and Peac –**The Logic of Strategy –P.1, 2.

**وانظر كذلك: ليونيل روبي – فن الإقناع – المرشد للتفكير المنطقي – ترجمة د. محمد العريان** – ص ص٢٤٨، ٢٤٩.

(١٣٧) انظر السير **ليدل هارت – نظرة جديدة إلى الحرب** – ترجمة وتعليق أكرم ديري – مراجعة خيري حماد – الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة ١٩٦٥م – ص٤٣.

(١٣٨) **المرجع السابق** – ص٤٤، ٤٥.

([139]) **Luttwak, (E) - Strategy and History - Volume 2** - P, 145.

وانظر كذلك **Liddell Hart – The Sword and the Pen** - PP, 159, 160.

(١٤٠) انظر **آلان ستيفنز، نيقولا بيكر – فهم الحرب (إستراتيجية الفهم)** – ترجمة د. أدهم مطر – دار نشر محاكاة – دمشق ٢٠١٢م – ص٢١.

(١٤١) **المرجع السابق** – ص٢٠٧.